مقام السالكين

الى رب العالمين

الدكتور كياهي نووي طبراني

literasi
nusantara

مقام السالكين

الى رب العالمين

الدكتور كياهي نووي طبراني

literasi
nusantara

MAQOM AS-SAALIKIIN
ILAA RABBIL 'ALAMIIN

Penulis : Dr. K. Nawawi Tobroni

ISBN : 978-623-329-059-3

Copyright © Februari 2021
Ukuran: 14.8 cm X 21 cm; Hal: viii + 105

Hak Cipta dilindungi oleh undang-undang. Dilarang mengutip atau memperbanyak baik sebagian ataupun keseluruhan isi buku dengan cara apa pun tanpa izin tertulis dari penerbit.

Penata Isi : An Nuha Zarkasyi
Desainer Sampul : Rosyiful Aqli

Cetakan I, Februari 2021

Diterbitkan pertama kali oleh **Literasi Nusantara**
Perum Paradiso Kav. A1 Junrejo - Batu
Telp : +6285887254603, +6285841411519
Email: penerbitlitnus@gmail.com
Web: www.penerbitlitnus.co.id
Anggota IKAPI No. 209/JTI/2018

Didistribusikan oleh CV. Literasi Nusantara Abadi
Jl. Sumedang No. 319, Cepokomulyo, Kepanjen, Malang. 65163
Telp : +6282233992061
Email: redaksiliterasinusantara@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدلله مولي النعم، والشكر له على ما خض منها وعم، والصلاة والسلام على النبي الأعظم، وعلى آله وأصحابه وأمته أشرف الأمم، أجمعين أما بعد:

فإن التصوف يهتم بتنفيذ الإحسان والسلوك، وهو مقام تزكية النفس والقلب وتطهيرهما من الرذائل, **فالغالب** أن مقام الإسلام يُعبّر عنه بالشريعة، ومقام الإيمان بالطريقة، ومقام الإحسان بالحقيقة. فالشريعة: هي تكليف الظواهر, بأن تعبده تعالى, والطريقة: هي تصفية القلوب, بأن تقصده، والحقيقة: هي شهود الحق في تجليات المظاهر بأن تشهده. ولذا أن العمل في الإسلام تحولي, إذا كان حدّه الجوارح الظاهرة سمي بمقام الإسلام، وإذا انتقل لتصفية

القلوب بالرياضة والمجاهدة سمي بمقام الإيمان، ثم انتقل لفتوحِ الأسرار, سمي بمقام الإحسان.

وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول، ويطول نقلها، فإن الألفاظ وإن اختلفت متقاربة المعاني، قال أبو حفص: التصوف كله آداب، لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول, وقال أيضًا: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُه لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ».

(وسئل) بعضهم عن التصوف، فقال: تصفية القلب عن موافقة البريَّة، ومفارقة الأخلاق الطبيعيَّة، وإخماد صفاتِ البشرية، ومجانبة الدَّواعي النفسانية، ومنازلة الصفاتُ الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقةِ، واتِّباع الرسول في الشَّريعةِ.

قال بعضهم: التصوف كله اضطراب فإذا وقع السكونُ فلا تصوف، والسرُّ فيه أن الروح مجذوبةٌ إلى الحضرة الإلهية؛

يعني أن روحَ الصوفي متطلعةٌ منجذبة إلى مواطن القربِ، وللنفس بوضعها رسوب إلى عالَمِهَا وانقلاب على عقبِها، ولا بد للصوفي من دوام الحركة بدوام الافتقار، ودوام الفِرَارِ وحسن التفقد لمواقعِ إصابات النفس، ومن وَقَفَ على هذا المعنى يجد في معنى الصوفي جميعَ المتفرقِ في الإشارات, اذً, الصوفي هو المستبين الأحسن من عند الله بصدق التجائه، وخروجه إلى الله تَعَالَى لعلمه بربِّه، وحظِّه من مكالمتِه.وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس

مقدمة .... ج

فهرس........ ز

فصل

في التوبة........ ١

فصل

في الورع ١٣

فصل

في الزهد........ ٢١

فصل

في الفقر ٣٣

فصل

في الصبر ٣٩

فصل

في التوكل........ ٤٧

فصل

في الرضا........................... ٥٧

فصل

في المشاهدة........................... ٦٧

فصل

في المكاشفة........................... ٧٣

فصل

في المعرفة ٨٣

فصل

في وليّ الله ٩٥

المراجع والمصادر ١٠٣

فصل

في التوبة

التوبة: لغة الرجوع, وشرعا الرجوع إلى الله فيما أمر به و ترك ما نهى عنه., هي بداية الطريق ونهايته، قال مجاهد في قوله (لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ): «كل من عصى ربه فهو جاهل ، حتى ينزع عن معصيته.»[١] الذنوب حجاب عن المحبوب، والانصراف عما يبعد عن المحبوب واجب. هناك ذنب يغفر وهو ما كان بين المرء وبين الله ، وذنب لا يترك وهو ما كان بينه وبين العباد، لأن حق الله مبني على المسامحة ، بينما حق العباد مبني على المشاحة، إذاً, هناك ذنب لا يغفر وهو الشرك بالله، لقوله تعالى :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾

١ التفسير بالمأثور" (٩١/٢)

قد أمر الله تعالى بالتوبة: وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّها المؤْمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفْلِحُونِ[٢] وقال سبحانه: {يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلى الله تَوْبَةً نَصُوحاً[٣] هاتان الآيتان أمر يدل على وجوب التوبة, وإذا كانت واجبة على الفور، فإن أركانها واجبة على الفور، إذ لا تصح إلا باكتمال تلك الأركان من الندم.

اتفق العلماء على وجوب التوبة، لأن الذنوب مبعدة عنه تعالى، فيجب الهرب منها على الفور, اذاً, هي واجبة على الدوام، فإن الإنسان لا يخلو عن معصية, قال العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام: وَالتَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الْفَوْرِ، فَمَنْ أَخَّرَهَا زَمَانًا صَارَ عَاصِيًا بِتَأْخِيرِهَا، وَكَذَلِكَ يَتَكَرَّرُ عِصْيَانُهُ بِتَكَرُّرِ الْأَزْمِنَةِ الْمُتَّسِعَةِ لَهَا، فَيَحْتَاجُ إلَى تَوْبَةٍ مِنْ تَأْخِيرِهَا، وَهَذَا جَارٍ فِي تَأْخِيرِ كُلِّ مَا يَجِبُ تَقْدِيمُهُ مِنْ الطَّاعَاتِ, ورُوِيَ عن لقمان أنّه قال لابنه: يا بنيّ لا تؤخّر التوبة فإن الموت يأتي بغتة , وحكي أنّ مسيلمة الكذّاب اشترك في قتله وحشي وأبو دجانة، فكان وحشي يقول: قتلت خير

٢ [النور: ١٣]
٣ [التحريم: ٨].

الناس وشرّ الناس حمزة ومسيلمة, ومنه الحديث: حمزة وقاتله في الجنّة.

والذنوب قد يتعجل فى الدنيا شؤمها، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم :»إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه« .وقال فضيل بن عياض: إنى لأعصى الله، فأعرف ذلك فى خلق حماري وخادمي.وقال أبو سليمان الداراني: الاحتلام عقوبة، ولا يفوت أحداً صلاة [جماعة] إلا بذنب يذنبه. فكثير من الأنبياء عليهم السلام، والسلف الصالح أصابهم من المصائب بسبب الذنوب، كآدم عليه السلام، في عصيانه الإخراج من الجنة، وداود وسليمان ويوسف عليهم السلام، ولم يقصد بها القرآن إلا للاعتبار.

خيار الخلق يُكثرون من الاستغفار، كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحصى له في المجلس الواحد أكثر من مائة مرة، وقد سئل النبي ﷺ مرات كثيرة عن الرجل يأتي كذا ويأتي كذا من المعاصي الكثيرة ومن أنواع الكفر ثم يتوب فيقول الرسول ﷺ: التوبة تهدم ما كان قبلها، والإسلام يهدم ما كان قبله.

حكي أن لصا دخل حجرة رابعة العدوية -رضي الله عنها - وهي نائمة، فحمل الثياب وطلب الباب فلم يجده ، فوضعها فوجده ، فحملها فخفي عليه ، فاعاد ذلك مرارا كثيرة، فهتف به هاتف: إن كان المحب تائما فإن المحبوب يقظان ، ضع الثياب واخرج من الباب، فإنا نحفظها ولا ندعها لك ، وان كانت نائمة ، فوضعها ثم خرج وتاب.

للتوبة مدلولات عميقة، كقوله تعالى: (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه)[٤] يفهم به أنها أمر عميق على الاستغفار فلابد له من شروط، وإذا كان الذنب في حقه عزَّ وجلَّ، فثلاثة شروط: الندم، والإقلاع عن الذنب، والعزْم على عدم العودة، فأما الندم، فلا تتحقَّق التوبة إلا به وهو شرط رئيسي، لقوله صلى الله عليه وسلم: النَّدَمُ تَوْبَةٌ ، والندم هو توجع القلب عنده شعوره بفراق المحبوب، وعلامته طول الحزن والبكاء، إذ مَن لم يندم ، فدلالة رضاه به وإصراره عليه وقال بعض العلماء: يَكْفِي فِي التَّوْبَةِ تَحَقُّقُ النَّدَمِ؛ فَإِنَّهُ

٤ (هود /)٣

يَسْتَلْزِمُ الْإِقْلَاعَ عَن الذنوب ، وَالْعَزْمِ عَلَى عَدَمِ الْعَوْدِ؛ فَهُمَا نَاشِئَانِ عَنِ النَّدَمِ لَا أَصْلَانِ مَعَهُ [٥]" .

وأما الإقلاع عن الذنب، فتستحيل التوبة مع مباشِرته، والثالث العزم على عدم العودة، ويعتمد على إخلاص هذا العزم والصدق فيه. أما إذا كان الذنب يتعلق بحق آدمي، فعليه أن يُصلح ما أفسد، أو يسترضي في حقه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان لأخيه عنده مَظلِمة مِن عِرض أو مال، فليتحلَّله اليوم، قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح، أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له عمَل، أُخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه».

كلما اجتمعت هذه الشروط كانت صحيحة، كقوله تعالى: {وهو الذي يقبل التوبة عن عباده}[٦] وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: »إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" قَالَ الْقُرْطِيُّ: يَجْمَعُهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْإِقْلَاعُ بِالْأَبْدَانِ، وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعَوْدِ

٥ ابن حجر العسقلاني, فتح الباري, ج ٣١, ص ١٧٤
٦ [الشورى :٥٢]

بِالْجَنَانِ، وَمُهَاجَرَةُ سَيِّئِ الْإِخْوَانِ.»[٧]

ينبغي للتائب أن يأتى بحسنات تضاد من السيئات لتمحوها وتكفرها، قال الله تعالى :{إن الحسنات يذهبن السيئات}[٨] وقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :"أتبع السيئة الحسنة تمحها" الحسنات المكفرة تكون بالقلب واللسان والجوارح على حسب السيئات، فما كان بالقلب، فالتضرع والتذلل، وأما اللسان فاعتراف بالظلم والاستغفار، كقوله: رب ظلمت نفسي فاغفر لى. وقال النبى صلى الله عليه وسلم:" ما من رجل يذنب ذنباً، فيتوضأ ويحسن الوضوء، ثم يصلى ركعتين، ويستغفر الله عز وجل، إلا غفر له".وأما الجوارح فبالطاعات، والصدقات، وأنواع العبادات.

وقد تحتاج التوبة الى بيئة معينة كحديث «إن رجلا قتل ٩٩ نفساً وذهب إلى عابد وقال له: أنا قتلت ٩٩ نفساً فهل لي من توبة؟، فقال له: ليس لك من توبة أبداً فقتله وأكمل به ١٠٠ نفس، ثم ذهب إلى عالِمٍ فقال له: قتلت

٧ البغوي, تفسير البغوي ج٨ ص ٩٦١

٨ [هود: ٤١١]

مئة نفس فهل لي من توبة؟ قال له: ومن يحول بينك وبين التوبة ولكن اترك البلد التي أنت فيها واذهب إلى بلدة صالحة أخرى

قال أبو طالب المكي: الكبائر سبع عشرة جمعتها من جملة الأخبار. أربعة فى القلب: الشرك، والإصرار على المعصية، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله تعالى. وأربعة في اللسان: شهادة الزور، وقذف المحصنات، واليمين الغموس، والسحر.وثلاثة فى البطن: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا.واثنتان فى الفرج: الزنا واللواطة.وواحدة فى الرجلين: الفرار من الزحف, واحدة فى جميع البدن، وهى عقوق الوالدين, وهذا يمكن أن يزاد عليه، وينقص منه، فإن ضرب اليتيم وتعذيبه أكبر من أكل ماله.

حكي عن الجنيد رضي الله عنه قال: رأيت أدم عليه السلام فى المنام وهو يبكي فقلت له مايبكيك؟ اليس قدغفر الله تعالى لك ووعدك بالرجوع الى الجنة, فناولنى ورقة مكتوبة فاستيقظت من منامى ووجدتها فى يدى واذا فيها:

أتحرق بالنار نار من النوى * ونار النوى نار حر من النار

شغفت بجار لابدار سكنتها * على الجار بكى لا على سكنة الدار

ولو لم يعدنى بالرجوع الى المنى * هلكت ولكنى نلت بالوعد او طارى

وقد أمر الله تعالى بالتوبة النصوح (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ)[٩] قال البغوي: اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهَا : قَالَ عُمَرُ وَأُبَيٌّ وَمُعَاذٌ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ أَنْ يَتُوبَ ثُمَّ لَا يَعُودَ إِلَى الذَّنْبِ، كَمَا لَا يَعُودُ اللَّبَنُ إِلَى الضَّرْعِ, قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ نَادِمًا عَلَى مَا مَضَى؛ مُجْمِعًا عَلَى أَلَّا يَعُودَ فِيهِ . قَالَ الْكَلْبِيُّ: أَنْ يَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ، وَيَنْدَمَ بِالْقَلْبِ، وَيُمْسِكَ بِالْبَدَنِ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: تَوْبَةً تَنْصَحُونَ بِهَا أَنْفُسَكُمْ. قَالَ الْقُرَظِيُّ: يَجْمَعُهَا أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الِاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْإِقْلَاعُ بِالْأَبْدَانِ، وَإِضْمَارُ تَرْكِ الْعَوْدِ بِالْجَنَانِ، وَمُهَاجَرَةُ سَيِّئِ الْإِخْوَانِ.»[١٠]

حكي أَنَّ رجلَين كانا في بني إسرائيلَ متحابَّيْنِ، أحدُهما مجتهِدٌ في العبادَةِ، والآخرُ مذنِبٌ، فجعَلَ المجتهِدُ يقولُ:

---

٩ التحريم/٨

١٠ البغوي, تفسير البغوي ج٨, ص٩٦١

أقصِرْ عمَّا أنت فيه ، فيقولُ : خلِّني وربِّي ، حتى وجدَهُ يومًا علَى ذنبٍ استعظَمَهُ ، فقالَ: أقصِرْ، فقال: خلِّني وربِّي ؛ أبُعِثْتَ علَيَّ رقيبًا ؟ ! فقال: واللهِ لَا يغفِرُ اللهُ لكَ أبدًا، ولَا يُدْخِلُكَ الجنَّةَ، فبعثَ اللهُ إليهما ملِكًا، فقبضَ أرواحَهما، فاجتمعا عندَهُ، فقال للمذْنِبِ: ادخلِ الجنةَ برحمَتِي، وقال للآخَرِ: أتستطيعُ أنْ تحظُرَ على عبدي رحمتِي ؟ ! فقالَ: لَا، يا ربِّ ! قال: اذهبوا بِهِ إلى النارِ.

للإنسان مثارات الذنوب فى أربع صفات أحدها: صفات ربوبية، منها الكبر والفخر، وحب المدح والثناء، والعز والجاه، وهذه ذنوب مهلكات، لكن بعضهم يغفل عنها، والثانية: صفات شيطانية، منها الحسد، والبغي والحيل والخداع والمكر، والغش والنفاق, والثالثة: الصفات البهيمية، منها: الشر والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج، مثل الزنى واللواطة والسرقة، والرابعة: صفات سبعية، منها الغضب والحقد، والقتل، وأخذ الأموال، وهذه الصفات لها تدرج فى الفطرة. فالصفة البهيمية تغلب أولاً، ثم تتلوها الصفة السبعية

ثانياً، فإذا اجتمعتا، استعملتا العقل فى الصفات الشيطانية، من المكر والخداع والحيل، ثم تغلب الصفات الربوبية. وهذه أمهات الذنوب، ثم تتفجر إلى الجوارح, كالكفر ولنفاق.

انما تكبر الصغائر بأسباب, الأول: الإصرار والاستمرار عليها, مثالها قطرات من الماء تقع على حجر متواليات، فإنها تؤثر فيه، و الثاني: استصغار الذنب، فكلما استعظمه العبد، صغر عند الله تعالى، وكلما استصغره ، كبر عنده تعالى، وقيل: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، والثالث: الفرح بالصغيرة والتمدح بها، كقول المرء: أما رأيتني كيف مزَّقت عرض فلان، وذكرت مساويه حتى خجلته، أو يقول: أما رأيت كيف ظلمت فلانا، وكيف خدعته، والرابع: التهاون بستر الله تعالى وإمهاله إياه فلا يدرى أنه قد يكون مقتاً ليزداد بالإهمال إثماً, والخامس: الاتيان بالذنب ثم يذكره عند غيره، والسادس: كون المذنب عالماً يُقتدي به، فإذا علم منه الذنب، كبر ذنبه، كدخوله على الظلمة مع ترك الإنكار

عليهم، واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه، وقيل: فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه.

فصل

في الورع

الورع لغة: ابتعد عن الإثم وكفّ عن الشُّبُهات والمعاصي على سبيل التَّقوى ويُقال للرجل الوَرِع، بمعنى أنّه عاش تقيّاً، مُتعبّداً، وشرعا: تجنّب كلّ ما يُعدّ من الشبهات؛ خشية الوقوع في الحرام، كما عرّفه القرافي: (ترك ما لا بأس به؛ حذراً ممّا به البأس)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالفَارِسِيَّةِ: «كِخْ كِخْ، أَمَا تَعْرِفُ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟» كخ: كلمة زجر للصبيّ عن المستقذرات؛ أي اتركه وارم به. خلاصة القول: حفاظ الحدود عند ما لا بأس به إبقاءً على التقوى، وبهذا يتبين أن الورع ليس ضمن

دائرة الواجبات إنما هو مقام للخاصة وخواص الخواص، وليس واجباً على أحد.

كان مسلمة بن عبد الملك حاضراً، فعرض على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أن يأخذ منه ثلاثمئة دينار ويوزّعها على أبنائه، أو يتصدّق بها، أو يُوصي بها لمن شاء، ولكنّه رفض ذلك، وقال: (إنّ ولدي أحد رجلين: فإمّا صالح فالله يتولّى الصالحين، وإمّا فاسق فلا أحبّ أن أترك له ما يستعين به على معصية الله)، فقال مسلمة بن عبد الملك: (رحمك الله يا أمير المؤمنين حيّاً وميتاً، فقد ألنت لنا قلوباً قاسيةً، وذكّرتها وكانت ناسية)، ثمّ روى مسلمة فيما بعد أنّه كان يرى أبناء عمر بن عبد العزيز وقد بلغوا من الغنى ما بلغوا، حتى إنّ أحدهم كان يُنفق مئة فرسٍ من ماله، ويجهّز مئة فارسٍ في سبيل الله، وفي المقابل لما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة، ترك لكلّ واحدٍ من أولاده الأحد عشر ألف ألف دينار، فروى مسلمة أنّه ما شُوهد أحدٌ منهم إلّا وهو فقير.

أما الورع الكاذب فهو تظاهر بالورع من قِبل الناس؛ ليخدعوا الآخرين، قال الله تعالى: (قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرِينَ أَعمالًا*الَّذينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَياةِ الدُّنيا وَهُم يَحسَبونَ أَنَّهُم يُحسِنونَ صُنعًا)، وحكي أنه جاء رجل إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فأخبره بأنّه زنى بامرأةٍ، فحملت منه، وأنجبت، فقال له أحمد بن حنبل: لمَ لم تعزل؟، فقال ذلك الرجل: بلغني أنّ العزل مكروه، فقال الإمام: بلغك أنّ العزل مكروه، ولم يبلغك أنّ الزنا حرام؟.

الوَرِع دائم المراقبة للحقِّ، مستديم الحذر أن يكون مثل قشوة القلب, كما قال الغزالي:[١١] أن القلب مثل المرآة, واللوح المحفوظ مثل المرآة أيضا, لأن فيه صورة كل موجود, وإذا قابلت المرآة بمرآة أخرى حلت صور ما فى إحداهما فى الأخرى, وكذالك تظهر صور ما فى اللوح المحفوظ إلى القلب إذا كان فارغا من شهوات الدنيا. فإن كان مشغولا بها كان عالم الملكوت محجوبا عنه, وإن كان فى حال النوم فارغا من

١١ الغزالي, كيمياء السعادة, ص, ٥٣١

علائق الحواس طالع جواهر عالم الملكوت فزهر فيه بعض الصور التي فى اللوح المحفوظ. وإذا أغلق باب الحواس كان بعده الخيال, لذالك كان الذي يبصر تحت ستر القشر, وليس كالحق الصريح مكشوفا. فإذا مات, أي القلب بموت صاحبه لم يبق خيال ولاحواس, وفى ذالك الوقت يبصر بغير وهم وغير خيال, ويقال له : " فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد "[١٢]

قال أبو هزان: ذكر الأَوْزاعي الخردل، وكان يحب أن يتداوى به، فقال رجل من أهل صفورية (بلدة في الأردن): أنا أبعث إليك منه يا أبا عمرو؛ فإنه ينبت عندنا كثير بري، قال: فبعث إليه منه بصرة، وبعث بمسائل، فبعث الأَوْزاعي بالخردل إلى السوق فباعه، وأخذ ثمنه فلوسًا، فصرها في رقعة الرجل، وأجابه في المسائل، وكتب إليه الأَوْزاعي: إنه لم يحملني على ما صنعت شيء تكرهه، ولكن كانت معه مسائل، فخفتُ أن يكون كهيئة الثمن لها.

١٢ (ق: ٢٢)

والفرق بين الزهد والورع, بأنَّ الزهد: ترك ما لا ينفع في الآخر, والورع: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة, فلمّا حضرت الوفاة عمر بن عبد العزيز بعث في طلب أبنائه، وكانوا أحد عشر رجلاً، وكان يملك ما يقارب بضع عشر ديناراً، فأمرهم أن يشتروا له كفناً وموضعاً للقبر بخمسة دنانير، ثمّ وزع باقي المال على الوارثين، فكان نصيب كلّ واحدٍ منهم ديناراً إلّا ربع الدينار، وأخبرهم بأنّه لم يترك لهم مالاً، ولكنّه من جهةٍ أخرى لم يترك لأحدٍ حقّ عليه، بل إنّ كلّ من يراهم سيتذكّر أنّ لهم حقّ عليه.

حكي عن أبي يزيد رضي الله عنه أنّه عبد الله تعالى سنين كثيرة فلم يجد للعبادة طعمًا ولا لذّة، فدخل على أمّه وقال لها: يا أمّاه إنّي لا أجد للعبادة ولا للطاعة حلاوة أبدًا، فانظري هل تناولت شيئًا من الطعام الحرام حين كنت في بطنك أو حين رضاعتك، فتفكرت طويلاً ثم قالت له يا بنيّ لما كنت في بطني صعدت فوق سطح فرأيت إجّانة (أي جرّة كبيرة) فيها جبن فاشتهيته فأكلت منه مقدار أنمُلة بغير

إذن صاحبه. فقال أبو يزيد: ما هو إلاّ هذا. فاذهبي الى صاحبه وأخبريه بذلك. فذهبت إليه وأخبرته بذلك، فقال لها: أنت في حلّ منه، فأخبرت ابنها بذلك فعندها ذاق حلاوة الطاعة.

يكتفى دليل الورع بقوله صلى الله عليه وسلم: إنَّ مِن حُسنِ إسلامِ المرءِ تركَه ما لا يَعنيه,[١٣] وهذا لفظ عام يشمل الترك لما لا يعنيه من الكلام والنظر والاستماع نحوها كما تلي:

أولا: الورع في النظر: قال رسول الله لعليٍّ : لا تتبع النظرة النظرة؛ فإنَّ لك الأولى، وليست لك الآخرة» قال عمرو بن مرة: (ما أحبُّ أني بصير، كنت نظرت نظرةً وأنا شاب,

ثانيا: الورع في السمع: روي عن عن أبي هريرة أن رسول الله قال: من استمع إلى حديث قومٍ لا يحبُّون أن يستمع حديثهم، أذيب في أذنه الآنك.

---

١٣ [صحيح ابن حبان:٩٢٢]،

ثالثا: الورع في الشم: عن عمر بن عبد العزيز : أنه أُتي بغنائم مسك؛ فأخذ بأنفه، فقالوا: يا أمير المؤمنين: تأخذ بأنفك لهذا؟ قال: إنما ينتفع من هذا بريحه؛ فأكره أن أجد ريحه دون المسلمين,

رابعا: الورع في اللسان: عن الحسن بن حي قال: فتشت عن الورع؛ فلم أجده في شيءٍ أقل منه في اللسان, وعن عمر بن الخطاب ، أنه اطلع على أبي بكر وهو يمدُّ لسانه، فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ قال: هذا أوردني الموارد، إن رسول الله قال: ليس شيءٌ من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدَّته.

خامسا: الورع في البطن: رسول الله قال من استطاع منكم ألا يجعل في بطنه إلا طيبًا فليفعل؛ فإن أول ما ينتن من الإنسان بطن, وقال بعض الصحابة: كنا ندع سبعين بابًا من الحلال؛ مخافة أن نقع في بابٍ من الحرام.

سادسا: الورع في الفتوى, قال البراء: لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر، ما منهم من أحد، إلا وهو يحبُّ أن يكفيه

صاحبُه الفتوى, وكان ابن سيرين إذا سُئل عن شيء من الحلال والحرام تغير لونه وتبدل، حتى كأنه ليس بالذي كان. وروي عن مالك أنه كان إذا سئل عن مسألة، كأنه بين الجنة والنار, وقال عطاء بن السائب :أدركت أقوامًا، إن كان أحدهم ليسأل عن الشيء فيتكلَّم وإنه ليرعد.

فصل

في الزهد

الزّهد: لغة أعرض أو تخلّص من التّعلق بشيءٍ معين، يُقال الرّجل زاهد أي ورع، واصطلاحا: استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب[١٤] وعرَّفه ابن عجيبة: «هو خلو القلب من التعلق بغير الرب» [١٥]وهو تفريغ القلب من حب الدنيا وشهواتها، وامتلاؤه بحب الله ومعرفته, فالزّهد هو العزوف عن الدّنيا ومتاعها وملذّاتها باعتبارها أمراً زائلاً، والرّضا بالقليل منها والقناعة بدون تكلّف, اذاً, الزهد عدم الفرح بإقبال الدنيا وعدم الحزن على إدبارها صفوة القول: الزهد مقام رفيع لأنه سبب لمحبة الله تعالى، ولذا دعا إليه الكتاب

١٤ القشيري, الرسالة القشيرية, ص٦٥

١٥ ابن عجيبة, معراج التشوفو ص٧

والسنة، وأشاد بفضله أئمة الدين، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: عليك بالزهد، فإن الزهد على الزاهد أحسن من الحلي على الناهد.[١٦]

الزهد الحقيقي كماعبر عنه عبد القادر الجيلاني تعبيراً واضحاً حينما قال: أخرج الدنيا من قلبك وضعها في يدك أو في جيبك، فإنها لا تضرك,[١٧] وقال بعض العارفين: ليس الزهد أن تترك الدنيا من يدك وهي في قلبك، وإنما الزهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك. قال يحيى بن معاذ؛ عجبت من ثلاث : رجل يرائي بعمله مخلوقاً مثله ويترك أن يعمل لله، ورجل يبخل بماله وربه يستقرضه منه فلا يقرضه منه شيئاً ، ورجل يرغب في صحبة المخلوقين ومودتهم، والله يدعوه إلى صحبته ومودته. [١٨]

قد زعم المنكرون أن الزهد بدعة دخيلة على الاسلام، تسربت إليه عن سلوك الرهبنة النصرانية أو النسك الأعجمي،

١٦ المناوي, فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٤, ص٣٧.

١٧ أنظر: الفتح الرباني للشيخ عبد القادر الجيلاني

١٨ أتظر: كتاب الفوائد لإبن قيم الجوزية

وهذا تسرُّعٌ في الحكم مع جهل بحقيقته, فلو رجعوا إلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدوا أنه عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الزهد صراحة و قطعا، مع أن الزهد وسيلة لنيل رضاه تعالى.

أدلة الزهد كثيرة, منها قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١٩] أي لا تأسفوا على مفقود، ولا تفرحوا لموجود. والحديث: عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء، فقال: «ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[٢٠] والحديث عن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والله ما الدنيا في الآخرة، إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع!».[٢١] والحديث: روى سهل بن

---

١٩ [سورة الحديد الآية: ٣٢]

٢٠ (رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح)

٢١ (رواه مسلم)

سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله دُلَّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس قال له: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك.[٢٢]

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه قد عزفتْ نفوسهم عن الدنيا، وزهدت قلوبهم فيها, الزهد هو سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه في منازل الآخرة, فلا يستحق العبد اسم الزهد حتى يزهد فيها: وهي المال والصور والرياسة والناس والنفس وكل ما دون الله، وليس المراد رفضها من الملك، فقدكان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما لهما، وكان نبينا من أزهد البشر على الإطلاق وله تسع نسوة وكان علي بن أبي طالب وعبدالرحمن بن عوف والزبير وعثمان رضي الله عنهم من الزهاد مع ماكان لهم من الأموال، وكان الحسن بن علي ـ رضي الله عنه من الزهاد مع أنه كان من أكثر الأمة

٢٢ [رواه ابن ماجه في كتاب الزهد].

محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناهم.

قالت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لعمر: يا أمير المؤمنين لو لبسْتَ ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو ألين من طعامك، وقد وسَّع الله من الرزق وأكثر من الخير، فقال: إني سأخصمك إلى نفسك، ألا تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش؟ فما زال يُذكِّرها حتى أبكاها، فقال لها: أما والله لئن استطعتُ لأشاركهما في مثل عيشهما الشديد لعلِّي أدرك معهما عيشهما الرخي.[٢٣]

حكي عن بعض الصالحين رضي الله عنهم أنه قال : كنت كثير الزهد في مخالطة أرباب الدنيا فاتفق أن أمير هذا البلد استدعاني لحاجة عرضت له فقلت فيها ما يجوز, فلما كانت تلك الليلة رأيت في منامي كأن معي الشيطان فقلت : من انت ؟ فقال : انا قرينك فقلت : وكيف ذلك وانا أذكر الله كثيرا ؟ قال : لعمري لو كنت كثير الذكر لم يكن للشيطان عليك سبيل

٢٣ ابن الجوزي, تاريخ عمر بن الخطاب, ص٤٠١

فلما اشتغلت مع امير هذه البلدة جعلت لك قرينا , أما قرات : الزخرف: الأ ية ٦٣) فقلت له: فما حقيقة الذكر ؟ قال : غيبة الذاكر في الذكر ... فانتبهت مرهوبا وخرجت هائما على وجهي فلم أدخل بلدي بعدها.

الزهد مقام قلبي رفيع المنزلة لأنه تفريغ القلب بما سوى الله تعالى، وقال أبو الحسن الشاذلي: « الذرة من أعمال القلوب تعدل أمثال الجبال من أعمال الجوارح,»[٢٤] كان الوصول إليه أمراً مهماً يحتاج إلى جهود كبيرة ووسائل ناجعة، قال بعض العلماء: لا يبلغ أحد حقيقة الزهد, حتى يكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة، وأحد ما يجسد الزهد: أن تؤثر الآخرين على ما في يدك: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.[٢٥]

وما أكلُ الرسول صلى الله عليه وسلم للأطعمة اللذيذة، وربطُ الحجر على بطنه الشريف من الجوع برغم أن الجبال عرضت له أن تكون ذهباً إلا لتبرير الزهد, و قال عمرو بن

٢٤ أمين الكردي, تنوير القلوب ١٥.

٢٥ سورة الحشر الآية: ٩]

عثمان المكي: اعلم أن رأس الزهد وأصله في القلوب هو احتقار الدنيا واستصغارها، والنظر إليها بعين القلة، وهذا هو الأصل الذي يكون منه حقيقة الزهد.[٢٦]

وأما ذم الدنيا في الآيات القرأنية والأحاديث فليس ذماً لذاتها، وإنما هو تحذير من الانشغال القلبي بها؛ ومن تخلص قلبه بزخارف الدنيا ومشاغلها يزداد لله تعالى حباً له وتوجهاً ومعرفة، ولهذا اعتبر العارفون: الزهد وسيلة للوصول إليه تعالى، وشرطاً لنيل حبه ورضاه، وليس غاية قصوى لذاتها, نعمت الدنيا مطية المؤمن ووسيلة التقرب إليه تعالى، وبئست الدنيا إذا كانت معبوده, قال المناوي: فالدنيا لا تُذَمّ لذاتها فإنها مزرعة الآخرة، فمن أخذ منها مراعياً للضوابط الشرعية أعانته على آخرته، ومن ثَمَّةَ قيل: لا تركن إلى الدنيا، فإنها لا تبقى على أحد، ولا تتركها فإن الآخرة لا تنال إلا بها.[٢٧] قال الحسن البصري: كلُّ نعيمٍ زائل، إلا نعيمُ أهلِ الجنَّة، وكلُّ غمٍّ زائل، إلا غمُّ أهلِ النار.

---

٢٦ السلمي, طبقات الصوفية, ص٣٠٢.

٢٧ المناوي, فيض القدير شرح الجامع الصغير ج٣ ص٥٤٥.

السادة الصوفية قد تحققوا بالزهد وتدرجوا في مراتبه التي أشار إليها ابن عجيبة بقوله: فزهد العامة: ترك ما فضل عن الحاجة في كل شيء، وزهد الخاصة: ترك ما يشغل عن التقرب إلى الله في كل حال، وزهد خاصة الخاصة ترك النظر إلى ما سوى الله في جميع الأوقات إلى أن قال: والزهد سبب السير والوصول؛ إذ لا سير للقلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب.[٢٨]

وثمار الزهد في الدنيا كثير أولا: أن يهوّن موقع المصيبة على قلب المرء: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات, ثانيا: أن يورث الحكمة: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا أبا ذر إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنه يلقى الحكمة.] ثالثا: سبب تنزّل الرحمة: عن علي بن أبي طالب: ازهد في الدنيا تنزل عليك الرحمة, رابعا: أن يُصّر المرء بعيوب الدنيا : عن أمير المؤمنين: ازهد في الدنيا يبصرك الله عيوبها, خامسا:

---

٢٨ أنظر: معراج التشوف»لابن عجيبة ص٧ ٨.

اطمئنان القلب, قال: وُهَيْبِ بْنِ الْوَرْدِ:الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ مِنْهَا، وَلَا تَفْرَحَ بِمَا آتَاكَ مِنْهَا .

قال المناوي ليس الزهد تجنب المال بالكلية بل تساوي وجوده وعدمه، وعدمُ تعلقه بالقلب إليه، فقد كان صلى الله عليه وسلم قدوة الزاهدين، يأكل اللحم والحلوى والعسل، ويحب النساء والطيب والثياب الحسنة، فخذ من الطيبات بلا سرف ولا مخيلة، وإياك وزهد الرهبان.[٢٩]

كان سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، مع أن الله قد آتاهما الملك والسلطان، وكان نبينا محمد ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق في متع الدنيا ومع ذلك فقد تزوج بتسع نسوة وكان يدخر لأهله قوت سنة كاملة، وكان عبد الرحمن ابن عوف من كبار الزهاد مع ما كان له من الأموال الطائلة.

وما حياة خيار الأمم كالنبي وأصحابه إلا القدوة العملية فكانوا مثالاً للزهد عن نافع قال: سمعت ابن عمر رضي الله

٢٩ أنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ج٤ ص٢٧

عنهما يقول: والله ما شمل النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ولا خارج بيته ثلاثة أثواب، ولا شمل أبا بكر في بيته ثلاثة أثواب، غير أني كنت أرى كساهم إذا أحرموا، كان لكل واحد منهم مئزر ومشمل لعلها كلها بثمن درع أحدكم، والله لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه، ورأيت أبا بكر تخلل بالعباءة، ورأيت عمر يرقع جبته برقاع من أدم وهو أمير المؤمنين، وإني لأعرف في وقتي هذا من يجيز المائة، ولو شئت لقلت ألفاً[٣٠] عن قتادة رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبطأ عن الناس يوم الجمعة، قال: ثم خرج فاعتذر إليهم في احتباسه وقال: إنما حبسني غسل ثوبي هذا، كان يُغسل ولم يكن لي ثوب غيره.[٣١]

والدواعي التي تساعد على الزهد أولا: الدنيا ظل زائل وخيال زائر، عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ: {أَلهاكُمُ التكاثُرُ} قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك يا ابن آدم من

٣٠ أنظر: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص٢٠١.

٣١ تاريخ عمر بن الخطاب» ص٢٠١

مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لبستَ فأبليت، أو تصدقْتَ فأمضيت» وقال أبو المواهب الشاذلي: (عبادة المريد مع محبته للدنيا شغل قلب وتعب جوارح، فهي وإن كثرتْ قليلة عند الله تعالى). ثانيا: من وراء الدنيا دار أعظم منها خطراً، وهي دار البقاء، قال تعالى: {قلْ متاعُ الدنيا قليلٌ والآخرةُ خيرٌ لِمَنْ اتقى}[٣٢] سارا الصوفية سيرة الصحابة والسلف الصالح في مجاهدة النفس دون أن تستهويهم زخارف الحياة الزائلة.

٣٢ [النساء: ٧٧].

فصل

في الفقر

للصوفية أقوال ومواقف كثيرة في مدح الفقر وذم الغنى، منها: قال الحارث المحاسبي:» ويحك أيها المفتون إن احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف مكيدة من الشيطان ينطق بها على لسانك فتهلك لأنك متى زعمت أن أخيار الصحابة أرادوا المال للتكاثر والشرف والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم إلى أمر عظيم».[٣٣]

الغزالي يرى المال كالحية: يأخذها الراقي ويستخرج منها الترياق و يأخذها الغافل فيقتله سمها من حيث لا يدري، ولا ينجو أحد من سم المال إلا بالمحافظة على خمس وظائف:

---

٣٣ الغزالي: إحياء علوم الدين، ج٣ ص٥٦٢

الأولى: أن يعرف المقصود من المال: فلا يحفظ منه إلا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه. **الثانية**: أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض، وما يغلب عليه الحرام كأموال الحكام الظالمين، ويجتنب الجهات المكروهة التي تقدح في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة، وكالسؤال الذي فيه الذلة وهتك المروءة. **الثالثة**: أن يراعي في كسبه مقدار حاجته في الملبس والمسكن والمطعم. **الرابعة**: أن يقتصد في الإنفاق غير مقتر ولا مبذر. **الخامسة**: أن يصلح نيته في الأخذ والترك، والإنفاق والإمساك؛ لأن حسن النية هو الأساس.[٣٤]

سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبي يقول: رأيت معروفًا الكرخي في النوم، بعد موته، فقلت له: ماذا فعل الله بك؟ فقال: غفر لي. فقلت بزهدك وورعك ؟ فقال: لا، بقبولي موعظة ابن السماك، ولزوم الفقر، ومحبتي للفقراء. وموعظة ابن السماك: ما قاله معروف: كنت ماراً بالكوفة,

٣٤ الإحياء ج٣ ص٤٦٢.

فوقفت على رجل يقال له: ابن السماك وهو يعظ الناس. فقال في خلال كلامه: من أعرض عنا لله بكلتيه أعرض الله عنه جملة..ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه ، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه، ومن كان مرة و مرة فالله يرحمه وقتاً ما.فوقع كلامه في قلبي، فأقبلت على الله تعالى، وتركت جميع ما كنت عليه، إلا خدمة مولاي على بن موسى الرضا.

قال ابن عطاء الله: اعلم أن الأشياء إنما تذم وتمدح بما تؤدي إليه، فالتدبير المذموم ما شغلك عن الله، وعطلك عن القيام بخدمة الله، وصدك عن معاملة الله. والتدبير المحمود هو ما ليس كذلك مما يؤديك إلى القرب من الله، ويوصلك إلى مرضاة الله. وكذلك الدنيا ليست تذم بلسان الإطلاق ولا تمدح كذلك، وإنما المذموم منها ما شغلك عن مولاك، ومنعك الاستعداد لأخراك[٣٥].

وقال أيضا: وقد بلغنا أنهم كانوا إذا أقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله، وإذا رأوا الفقر

٣٥ أنظر: التنوير ص٣٣.

مقبلا قالوا: مرحبا بشعار الصالحين، وبلغنا أن بعضهم كان إذا أصبح وعند عياله شيء أصبح كئيبًا حزينًا، وإذا لم يكن عندهم شيء أصبح فرحا مسرورا فقيل له إن الناس إذا لم يكن عندهم شيء حزنوا وإذا كان عندهم شيء فرحوا».[٣٦]

عن يحيي بن معاذ أنه قال:» وجود الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد»[٣٧]، وهذه دعوة منه لترك العمل وتفضيل الفقر، قال حاتم الأصم:» ومن ادعى حب النبي صلى الله عليه وسلم ، من غير محبة الفقر، فهو كذاب»[٣٨] وقال عبد الكريم القشيري:» والفقر شعار الأولياء، وحلية الأصفياء، واختيار الحق، سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء، والفقراء: صفوة الله عز وجل من عباده، ومواضع أسراره بين خلقه، بهم يصون الحق الخلق، وببركاتهم يبسط عليهم الرزق، والفقراء الصبر جلساء الله تعالى يوم القيامة، بذلك ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه

٣٦ المرجع السابق (٠٨، ١٨).

٣٧ يحيي بن معاذ، جواهر التصوف, ص٩٤١.

٣٨ أبو عبد الرحمن السلمي, طبقات الصوفية, ص ٠٩.

وسلم: أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا إبراهيم بن أحمد بن محمد ابن رجاء الفزاري، قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن أحمد بن خشيش البغدادي قال: حدثنا عثمان بن معبد قال: حدثنا عمر بن راشد، عن مالك، عن نافع، عن أبي عمر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:» لكل شيء مفتاح والجنة: حب المساكين، والفقراء الصبر: هم جلساء الله تعالى يوم القيامة»[٣٩]

وقال الغزالي،[٤٠] أثناء كلامه عن المريد:» وإنما يرفع حجاب المال بخروجه عن ملكه حتى لا يبقى له إلا قدر الضرورة، فما دام يبقى له درهم يلتفت إليه فهو مقيد به محجوب عن الله عز وجل»[٤١] قال أبو طالب المكي:» روينا في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:» آخر الأنبياء دخولا الجنة

---

٣٩ القشيري، الرسالة القشيرية، (٢/٤٣٠).

٤٠ حكى أخو حُجة الإسلام أحمد أبو الفتوح عن أخيه فقال لما أصبح أبو حامد في صباح يوم الاثنين وهو يوم وفاته — رحمة الله تعالى عليه — صلى الصبح ثم دعا بالكفن، قال إليّ بكفني، صلى الصبح وهو في مكانه، قال فأتيت به فأخذه وقبّله ووضعه على عينيه، ثم وضعه على نفسه ومد رجليه وقال مرحباً بالدخول على الملك، هكذا كانت نهايته، قال مرحباً بالدخول على الملك، قال وأسلم النفس

٤١ الغزالي, إحياء علوم الدين, ج ٣ص ٥٧

سليمان بن داود عليه السلام لمكان ملكه، وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه»، وفي لفظ آخر:» يدخل سليمان بن داود الجنة بعد الأنبياء بأربعين خريفا»[٤٢].عن عبيد بن عمير قال: كان عيسى عليه السلام يلبس العشر ويأكل الشجر ويبيت حيث أمسي، لم يكن له ولد يموت، ولا بيت يخرب ولا يخبئ شيئا لغد»[٤٣]. وعن الحارث المحاسبي أنه سئل عن تفسير مقولة:» خير الرزق ما يكفي، قال: هو قوت يوم بيوم لا تهتم لرزق غد».[٤٤]

٤٢ أبو طالب المكي، قوت القلوب, ج ١ ص ٥٨٢
٤٣ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ج ٣ ص ٣٧٢
٤٤ أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء (٥٧/٠١).

فصل

في الصبر

الصَّبرُ لغة الجَزَع، ويُقصَد به: حبس النفس، وكفّها عن الجزَع، والسَّخَط، وشرعاً: الامتناع عمّا حرّمه الله، وأداء ما أوجبه من الفرائض، وعدم السخط، أو الجزع، أو الشكوى ممّا قدَّرَه الله –سبحانه–؛الرضا بمقدور الله، مع حُسن التأدُّب عند البلاء والمِحَن، دون الاعتراض على ما قُدِّر، وقد وصفه القرآن بصبر جميل، قال ابن تيمية: «الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه“ وقال مجاهد:» هو الذي لا جزع معه»[٤٥]

عن أبي سعيد رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موعوك، عليه قطيفة، فوضع يده

٤٥ ابن كثير, التفسير العظيم, ج ٢ ص ٩٨٤

فوق القطيفة فقال: ما أشد حماك يا رسول الله! قال: «إنا كذلك، يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر»، قال: يا رسول الله من أشد الناس بلاء؟ قال: «الأنبياء». قال: ثم من؟ قال: «العلماء». قال: ثم من؟ قال: «الصالحون، كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله، ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء»[٤٦]

أمّا ما يُطلَب من المؤمن فيه الصبر، فيكون عند وقوع المصيبة وبدايتها؛ إذ يشتدّ على النفس أن تثبت، وقد ورد أنّ النبي –عليه الصلاة والسلام– مرّ بامرأةٍ تبكي عند قبرٍ، فأرشدها إلى أن تتّقيَ الله، وتصبر، فقالت له: «وما تبالي بمصيبتي»، دون أن تعرف أنّها تُحدّث النبيّ، فلمّا عرفت ذهبت إليه، وأخبرته أنّها لم تعرفه، فأجابها: (إنَّما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى).

٤٦ [رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات والحاكم واللفظ له].

ولا ريبَ أن ثمرات الصبر في الدنيا والآخرة كثيرة، منها: تخفيف أثر المصيبة، والتقليل من مَشقّتها, والمؤمن يصبر؛ حين ينظر الى الخير والحكمة في القضاء، ويعلم بأن الدنيا زائلة, والأجر العظيم في الآخرة، كقوله تعالى: (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ). وطمأنينة القلب،.و نيل مغفرة الله للذنوب، قال تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ). ووقايةٌ في كَيد أحدٍ له، قال -تعالى-: (وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا). ونيل الفلاح به، كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). ومراعاة النعمة؛ إذ الذنوب تُزيل النعم عن العبد العاصي، إلّا إن تاب إلى ربّه، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حَتّى يُغَيِّروا ما بِأَنفُسِهِم).

الصبر هو مدار امتحان الله للعبد في الدنيا، وقد وصف بلائه في الضراء كقوله: (وَلَنبَلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)، ثمّ وجّه

الله تعالى عباده إلى ما يعينهم على الصبر عند البلاء؛ فقال: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).

حكي أن بعض الأولياء قال لإبليس أرني كيف تغلب ابن آدم؟ فقال آخذه عند الغضب وعند الهوى أي ميل النفس الى أمر ذنيوي. قد حكي أن ابليس ظهر لراهب بنى إسرائيل. فقال له الراهب أي أخلاق بنى آدم أعون لك؟ قال الحدة: وهي التسرع فى الغضب, فان العبد اذا كان حديدا فى غضبه قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة.

أهمية الصبر على أربعة أمور: الأول: أن الله ذكره في أكثر من تسعين موضعاً في القرآن. الثاني: أن الله قرنه بالصلاة. الثالث: أن مقامات الدين كلها مرتبطة به. الرابع: أن الله تعالى لما أقسم بالعصر على خسران الإنسان استثناه بالصبر: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر}.

الصَّبر يشتمل على عدّة أنواعٍ؛ صبر على طاعة الله، و صبر على تَرك معصيته، وصبرعلى ابتلائه، فالنوع الأول: أن الله كلّفَ عبادَه من الطاعات، ومعلومٌ أنّ التكليف لا يخلو

من المِشقّة عند المداومة عليها، قال تعالى: (فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ)، والنوع الثاني: أن يكون المسلم أمسك نفسه عن فعلها؛ بأن يصرف قلبه عن حبّها والتعلق بها، وأن يمنع نفسه عن فعلها، وأن يكون إقلاعه عنها، ويسرع بالتوبة عنها، وكان يوسف عليه السلام، راودته المرأة الجميلة، وهددته وتوعدته، وبدأته وأفصحت عن رغبتها، وكان شابا غريبا قويا، وانغلقت الأبواب فأمنا من دخول أحد عليهما، مع ذلك كله كان رده على طلبها, والعياذ بالله.

والنوع الثالث: أن الابتلاء تربيةٌ لنفوس المؤمنين في ميدان الثبات على الحقّ، قال تعالى: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)، وقال صلى الله عليه وسلم: «الصبر ضياء»[٤٧] أي: لا يزال صاحبه مستضيئاً به ومهتديًا مستمراً على الصواب, قد سأل أبو بكر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك: كل سوء عملنا جزينا به؟، وأينا لم يعمل سوء؟ فقال صلى الله عليه وسلم : «يا أبا بكر ألست

٤٧ [رواه مسلم].

تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست تصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به» .

اذا أمعنا بالنظر سيرة الأنبياء والصحابة والصالحين وجدنا أنهم صبروا على الابتلاءات العظيمة، وذلك توطين النفس على الاقتداء بهم, قال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ[48] وقال عن أيوب عليه السلام: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)} [ص]. لقد مرض عليه السلام سنوات طويلة، جفاه الناس فيها، وافتقر بعدما كان ذا مال وفير، ولم يبق جزء سالم في بدنه سوى لسانه وقلبه، عملت زوجته خادمةً في البيوت لتطعمه، ولما صدَّها الناس خوفاً من أن تنقل إليهم مرض زوجها باعت شعر رأسها، فلما رأى أيوب عليه اللام رأسها تضرع لله فكانت العافية بعد الضراء، والفرج بعد البلاء.

وفي تفسير الطبري أن ابن عباس رضي الله عنهما لما نُعي

٤٨ ١٤٦)} [آل عمران].

إليه أخوه قُثَم وهو في سفر استرجع، ثم تنحَّى عن الطريق، فأناخ فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثم قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ}[٤٩].

٤٩ البقرة: ٥٤

فصل

في التوكل

التوكل لغة: تفويض، و ثقة، و اعتماد ويقال:وكّل فلانا أي: فوّضه, واصطلاحا: وقال الجرجاني رحمه الله: التوكل هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس[٥٠] وقال الحسن: «معنى توكل العبد على الله أن يعلم العبد أنَّ الله هو ثقتهُ». وقيل: هو انطراح القلب بين يدى الرب كانطراح الميت بين يدي المغسل يقلبه كيف يشاء. قال سعيد بن جبير: « التوكل جماع الإيمان» قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٥١] فهو حال المؤمن في جميع الأحوال والأحيان, اذاً, هو اعتماد القلب على الله تعالى في

٥٠ الجرجاني, التعريفات, ص ٤٧
٥١ [المائدة: ٢٢]

جلب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة.

قد يزعم بعض الناس أن التوكل هو ترك الجهد والعمل والاكتفاء بدعاء فحسب، وهذا خاطئ، فإنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه إلى مرماه، وسعيه إما أن يكون لجلب مصلحة أو دفع ضرر، فلا يتحقق بغير عمل, فمن أراد أن يحصل الرزق أو النجاح بذل الجهد متوكلا على الله، وأما ترك العمل فهو توكل مذموم.

أمر الله تعالى العبدَ بالتوكلِ عليه وحده، فالتوكل عليه عز وجل هو سِمةُ العبد الصادق، قد توكل النَّبي صلى الله عليه وسلم عندما هاجر من مكة المكرمة إلى المدينةِ المنورة، وكانت قريش تتبع أثر الرسول وصاحبه أبي بكر. قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: (أنَّ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ حدَّثه قال: نظرتُ إلى أقدامِ المشركين على رؤوسِنا ونحن في الغارِ. فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! لو أنَّ أحدَهم نظر إلى قدمَيه أبصَرَنا تحت قدمَيه. فقال: يا أبا بكرٍ، ما ظنُّك باثنَين اللهُ ثالثُهما)، و توكُل الرسول وأصحابه على الله عندما مرَّ ركبٌ، وهم بحمراء

الأسد، وأخبرهم بأنَّ أبا سفيان جمع لهم، فقالوا: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ*فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ)

وكذا توكُل نوح عليه السلام عندما دعا قومه لعبادة الله وحده، فكذّبوه. قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ).

كثير من الناس يغفل عن التوكل، بل يقفون على الأسباب الظاهرة، ويُتعبون أنفسهم بأخذِ الأسباب، ويجتهدون غايةَ الاجتهادِ، ومع أنه لا يأتيهم إلا ما قدَّره الله لهم، ولو أنَّهم إلى جانب أخذهم بالأسباب حققوا التوكل بقلوبهم لساق إليهم أرزاقهم، ولو مع أدنى سببٍ, كما يَسوق للطيور أرزاقها، بمجردِ الغدو, عن عمر بن الخطاب عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: (لو أنكم تتوكّلونَ على اللهِ حقَّ توكلهِ، لرزقكُم

كما يرزقُ الطيرُ، تغدُو خماصًا، وتروحُ بطانا).

قد حكي أن أحمد بن طولون أحد ولاة مصر: كان من أشد الظلمة حتى قيل: إنه قتل ثمانية عشر ألف إنسان صبراً – أي يقطع عنه الطعام والشراب حتى يموت – وهذا أشد أنواع القتل، فذهب أبو الحسن الزاهد امتثالاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» فدخل عليه وأخذ ينصحه في الله وقال له: إنك ظلمت الرعية وفعلت كذا وكذا وخوفه بالله فغضب ابن طولون غضباً شديداً – وأمر بأسد يجوّع ثم يطلق على أبي الحسن. يا له من موقف رهيب.. لكن نفس أبي الحسن الممتلئة بالإيمان والثقة بالله جعلت موقفه عجيباً عندما أطلقوا الأسد عليه جعل يزأر ويتقدم ويتأخر وأبو الحسن جالس لا يتحرك ولا يبالى والناس ينظرون إلى الموقف بين باك وخائف ومشفق على هذا العالم الورِع.. ولكن ما الذي حدث؟ تقدم الأسد وتأخر وزأر ثم سكت ثم طأطأ رأسه فاقترب من أبي الحسن فشمّه.. ثم انصرف عنه هادئاً ولم

يمسسه بسوء.. وهنا تعجب الناس وكبّروا وهللوا.

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل, بل هو من تمامه, لكن الحذر من ركون القلب إلى الأسباب, حتى يقال: السعى في الأسباب بالجوارح طاعته تعالى والتوكل بالقلب عليه إيمان به, قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [٥٢] ولذا ليس هناك تعارضٌ بين التوكّلِ والأخذ بالأسباب, يجب على المسلم الأخذ بالأسباب، وإن كانت في نظرِهِ ضعيفة في نفسها أو ليس لها تأثيرٌ، مثل مريم بنت عمران عندما أراد الله سبحانه أن يُطعمها، أمرها سبحانه بهزِ جذعِ النخلةِ، فأخذت بالأسبابِ رغم ضعفها, وما قدّره الله له كائنٌ، وإن بدت الأمور بضد ما يريد العبد فعليه الإيمان بأنَّه سبحانه قد اختارَ لهُ الأفضل. قال تعالى: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنا إِلَّا ما كَتَبَ اللَّهُ لَنا هُوَ مَوْلانا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ).[٥٣]

يعتمدُ المسلمُ في البداية والنهاية عليه سبحانه، مع أخذهِ بالأسباب، فالله يُقدّر الأمور بأسبابها, و يتحقق التوكل

---

٥٢ [الأنفال: ٠٦].

٥٣ التوبة ١٥

بشعورالضعف، والحاجة الى الله تعالى، فمهما بلغ من أسباب القوة يبقى ضعيفاً، ويحتاج إعانة الله له في أمور حياته، قال تعالى: (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) لأن التوكل يجلب الرزق, قال بعض السلف: توكل تُسق إليك الأرزاق بلا تعب ولا تكلف. عن عبد الله بن المبارك (رحمه الله) قال: قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: يا بني! إنما يُستدل على تقوى الرجل بثلاثة أشياء: بحسن توكله على الله فيما أنابه. وبحسن رضاه فيما آتاه. وبحسن صبره فيما ابتلاه[٥٤]

عن أبي قدامة الرملي قال: قرأ رجل هذه الآية: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً ﴾[٥٥] فأقبل عليّ سليمان الخواص وقال يا أبا قدامة ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد بعد الله في أمره ثم قال: انظر كيف قال الله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ فأعلمك أنه لا يموت وأن جميع الخلق يموتون ثم أمرك بعبادته فقال: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ ثم أخبرك

٥٤ أمين الكردي, تنوير القلوب, ص ١٨٤
٥٥ [الفرقان: ٨٥]

بأنه خبير بصير ثم قال: يا أبا قدامة: لو عامل أحد الله بحسن التوكل وصدق النية له بطاعته لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم فكيف يحتاج أحد إلى أحد والموئل والملجأ إلى الغنى الحميد.

التوكل يشتمل على سبع مقامات: أولا: مقام العبادة: قال تعالى: ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾[٥٦] ثانيا: مقام الدعوة: قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾[٥٧] ثالثا: مقام الرزق قال الله: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾[٥٨].رابعا: مقام الحكم والقضاء قال الله: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[٥٩] خامسا: مقام الجهاد: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

٥٦ [هود: ٣٢١].
٥٧ [التوبة: ٩٢١].
٥٨ [الطلاق: ٢، ٣]
٥٩ [الشورى: ٠١].

الْمُؤْمِنُونَ ﴾[٦٠]. سادسا: مقام الهجرة والسفر: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[٦١] سابعا: مقام العهود والمواثيق: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[٦٢]

أما الحسبلة: «حسبنا الله ونعم الوكيل،» فهي: عبادة قولية ولها أَثَر عَظِيم فِي خلاَصِ الْمُؤْمِنِ، وَنَجَاتِهِ؛ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَذْكَارِ الَّتِي يَقُولُهَا الْمُسْلِمُ، وَمَعْنَاهَا: اللهُ كَافِينَا، يَرُدُّ عَنَّا أَعْدَاءَنَا، وَيَنْصُرُنَا، وَنِعْمَ الْكَفِيلُ اللهُ تَعَالَى, و نبي الله إبراهيم قالها حين ألقي به في النار, عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، وَزَيْنَب بِنْتِ جَحْشٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُمَا تفَاخَرَتَا، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: زَوَّجَنِيَ اللهُ، وَزَوَّجكُن أَهَالِيكُنَّ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ: نَزَلَتْ بَرَاءَتِي مِنَ السَّمَاءِ فِي الْقُرْآنِ. فَسَلَّمَتْ

٦٠ [آل عمران: ١٥٩]
٦١ [النحل: ٤١، ٤٢],
٦٢ [يوسف: ٦٦].

لَهَا زَيْنَبُ، ثُمَّ قَالَتْ: كَيْفَ قُلْتِ حِينَ رَكِبْتِ رَاحِلَةَ صَفْوانَ بْنِ الْمُعَطَّلِ؟ فَقَالَتْ: قُلْتُ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: قُلْتِ كَلِمَةَ الْمُؤْمِنِينَ».

فصل

في الرضا

الرِّضا لغةً: ضد السُّخط، ويُراد به : تقبُّل ما يقضي به الله تعالى من غير تردد, ولا معارضة, وقال الحارث المحاسبي: الرضا هو سكون القلب تحت مجاري الأحكام. وقال ابن عطاء: الرضا: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد وهو ترك السخط[٦٣] الرضا اكتفاء بالموجود مع ترك الشوق للمفقود.

ولَمَّا كان أعظم رضا هو رضا الله سبحانه؛ خُصَّ الرضوان بما كان من الله عز وجل :((يبتغون فضلاً من الله ورضواناً)) [٦٤] وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «ما بقي لي سرور إلا في مواقع القدر» فقيل له: ما تشتهي فقال: ما يقضي الله.

٦٣ ابن الجوزي, مدارج السالكين, ج ٢ ص ٧٧١
٦٤ [الحشر:٨]

والرضا من ثمرات المحبة، وأعلى مقامات المقربين، وهو باب الله الأعظم، ومستراح المتقين، وجنة الدنيا، لأن الرضا يفرغ القلب لله، ومن ملأ قلبه من الرضا، ملأ الله صدره غنىً ومنًا وقناعة. ورضا الله عن العبد أكبر من الجنة وما فيها، لأن الرضا هي صفته والجنة هي من خلقه، بقوله تعالى: ﴿ورضوانمن الله أكبر﴾

أهل الرضا من أسرع الناس مروراً علي الصراط فعن وهب بن منبه (رحمه الله) قال: (وجدت في زبور آل داود : هل تدري مَن أسرع الناس مرّاً علي الصراط ؟ الذين يرضون بحكمي , وألسنتهم رطبة من ذكري هل تدري أي الفقراء أفضل ؟ الذين يرضون بحكمي وبقسمي, ويحمدوني علي ما أنعمت عليهم هل تدري أي المؤمنين أعظم منزلة عندي ؟ الذي هو بما أعطي أشد فرحاً منه بما حبس[٦٥]

أما الرضا فهو صبر وزيادة، فالراضي صابر، ومع هذا الصبر فهو راضٍ بقضاء الله، لا يتألم به. قال ابن القيم بعد

---

٦٥ أبي نعيم الإصفهاني, حلية الأولياء في ترجمة وهب بن منبه رحمه الله ٤/٠٧ رقم الأثر (٣٨٧٤) .

أن ذكر الصبر والرضا: « عبودية العبد لربه في قضاء المصائب الصبر عليها، ثم الرضا بها وهو أعلى منه، ثم الشكر عليها وهو أعلى من الرضا، وهذا إنما يتأتى منه، إذا تمكن حبه من قلبه، وعلم حسن اختياره له وبره به ولطفه به وإحسانه إليه بالمصيبة، وإن كره المصيبة.»

حكى أن ملكا قال له منجموه، انك تموت في اليوم الفلاني في الوقت الفلاني بلدغة عقرب, فلما جاء اليوم الموعود ، تجرد من ثيابه ومشط شعر فرسه ونظفه واتجه به الى البحر ودخل في الماء حذرا من القدر فبينما هو كذلك اذ عطس فرسه وخرج من منخره عقرب فلدغه ومات وما اغنى عنه حذره .[٦٦]

رضاه تعالى هو أقصى ما يمتناه المؤمنون, قال تعالى عن داود وقد أُعطِيَ من الملك ما أُعطي: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ **وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ** وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي

٦٦ حسن باهرون, الفوائد المختارة, ص ٢٥٥

عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾)[٦٧].

وسئل الجنيد: أ يزني الولي، فأطرق مليّاً ثم قال: نعم وكان أمر الله قدراً مقدوراً، كما **حكي أن ولياً** نام عند أبي العباس المرسي فزنى بجاريته تلك الليلة ثم اغتسل وخرج يمشي على وجه الماء في بحر إسكندرية، فقال له: يا سيدي ما هذا؟ فقال: هذا عطاؤه وذلك قضاؤه اهـ

ليس بين الرضا والتألم من القضاء تباين، فالمريض الشارب للدواء الكريه متألم به، وهو مع ذلك راض به، والصائم في شهر رمضان في شدة الحر يحصل له التألم لكنه راض به، وكذلك تجد البخيل متألم من أخراج زكاة ماله راض بها، فالتألم كما لا ينافي الصبر، لا ينافي الرضا به[٦٨]

عن عبد الرحمن بن إبراهيم الفهري عن أبيه قال: أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه : إذا أوتيت رزقا مني فلا تنظر إلى قلته ، ولكن انظر إلى من أهداه إليك ، وإذا نزلت بك بلية ، فلا تشكني إلى خلقي ، كما لا أشكوك إلى ملائكتي

٦٧ [النمل: ٩١].

٦٨ ابن الجوزي, مدارج السالكين ج-١ص٢١١

حين صعود مساوئك وفضائحك إلي[٦٩]

لما نزل بحذيفة بن اليمان الموت جزع جزعا شديدا فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : ما أبكي أسفا على الدنيا بل الموت أحب إلي ولكني لا أدري على ما أقدم على الرضا أم على سخط ؟.[٧٠] قال ابن القيم: «الطريق طريقٌ تعِب فيه آدم ، وناح لأجله نوح ، ورُمي في النار الخليل ، وأُضْجع للذبح إسماعيل ، وبيع يوسف بثمن بخس ولبث في السجن بضع سنين، ونُشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب ... وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم»[٧١]

قال مُطرِّف بن عبدالله الشخير: أتيت عمران بن حصين يوماً، فقلت له: إني لأدع إتيانك لما أراك فيه، ولما أراك تلقى. قال: فلا تفعل، فو الله إن أحبه إليّ أحبه إلى الله .وكان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه، فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة، لا يقوم ولا يقعد، قد نقب له

---

٦٩ الخطيب البغدادي, المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ج ١ص ٨٠١ ,.

٧٠ ابن أبي الدنيا : المحتضرين ١/٢٢١.

٧١ حسن باهرون, الفوائد ص ٢٤ .

في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته.فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء، فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال: لم تبكي؟ قال: لأني أراك على هذه الحالة العظيمة. قال: لا تبك فإن أحبه إلى الله تعالى، أحبه إلي. ثم قال: أحدثك حديثاً لعل الله أن ينفع به، واكتم علي حتى أموت، إن الملائكة تزورني فآنس بها، وتسلم علي فأسمع تسليمها، فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة، إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة، فمن يشاهد هذا في بلائه، كيف لا يكون راضياً به؟[٧٢].

عن أبي علي الرازى قال: صحبت فضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكا ولا متبسما إلا يوم مات على ابنه فقلت له في ذلك فقال: إن الله عز وجل أحب أمرا فأحببت ما أحب الله[٧٣] قال الشافعي:

دع الأيامَ تفعل ما تشاءُ * * * وطِبْ نفساً بما حَكَمَ القضاءُ
ولا تَجْزعْ لحادثِةِ الليالي * * * فما لحوادثِ الدنيا بقاءُ

٧٢ الغزالي, إحياء علوم الدين ٩٤٣/٤

٧٣ .ابن العلاف : الرضا عن الله بقضائه ٨٠١.

وكن رجلاً على الأهوالِ جَلْداً * * * وشيمتُكَ المروةُ والوفاءُ
وإن كثرتْ عيوبُكَ في البرايا * * * وسرَّكَ أن يكون لها غطاءُ
تسترْ بالسَّخاءِ فكل عَيْبٍ * * * يغطيه كما قيلَ السخاءُ

الرضا على قسمين: أحدهما: الرضا بالمطالب بين الفعل والترك فلا بُدَّ للمسلم أن يرضى بأوامر الله التي أوجبَها عليه، وأن يعمل بها، حتى يكتمل إيمانه كما في حديث: ((ذاقَ طَعْمَ الإيمان مَنْ رضي بالله ربًّا، وبمحمدٍ نبيًّا، وبالإسلام دينًا))، و هذا يتناول ما أباحه من غير تعد إلى المحظور, قال تعالى: ﴿اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[٧٤] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَا آتَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ سَيُؤْتِينَا اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللّهِ رَاغِبُونَ﴾[٧٥]

والثاني: الرضا بالمصائب كالفقر والمرض ونحوهما، وهذا الرضا اختلف فيه أهل العلم على قولين: بين الوجوب والاستحباب، وإلى هذا الأخير مال ابن تيمية، وقال إنما الواجب فيه الصبر، واستدل على ذلك بما ورد من حديث ابن

٧٤ [التوبة: ٢٦]،
٧٥ [التوبة: ٩٥]،

عباس أن النبي قال: «إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فافعل فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا»(٠١) فالرضا غريزة والصبر المعول الذي يعتمد عليه المؤمن, وأما الرضا بالفسق فإنه فسوق وعصيان, ويجب على المكلف أن يرضى له, وعليه أن يحذر من الكراهة لشرع الله تعالى والالتزام بأوامره, فإن ذلك من أسباب إحباط العمل والعياذ بالله تعالى، كما قال الله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ[٧٦] .

فإن قيل: ما الفرق بين الرضا والصبر؟! فالجواب: قال طائفة من السلف منهم عمر بن عبدالعزيز، والفضيل بن عياض، وأبوسليمان الداراني، وابن المبارك وغيرهم -: «إن الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها بخلاف الصابر»، وقال سليمان الخواص: «الصبر دون الرضا، الرضا: أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راضياً بأي ذاك كان، والصبر: أن يكون بعد نزول المصيبة يصبر.

٧٦ محمد:٩

الرضا ينفي عنه آفات الحرص والكلب علي الدنيا, وذلك رأس كل خطيئة , وأصل كل بلية , وأساس كل رزية , فرضاه عن ربه في جميع الحالات ينفي عنه هذه الآفات, قال إبراهيم بن أدهم: قلب المؤمن نقي كالمرآة فلا يأتيه الشيطان بشيء إلا أبصره، فإن أذنب ذنبا ألقي في قلبه نكتة سوداء فان تاب محيت، و ان عاد إلى المعصية و لم يتب بقيت النكتة حتى يسود القلب فقلّما تنفع فيه الموعظة [٧٧]

والمسلم الحق هو الذي يعجل إلى ربه ويفر إليه طالبا رضاه : «وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى[٧٨] عَنْ ثَوْبَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي : رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ.[٧٩] وقال غَيْلانُ بنُ جريرٍ: «مَنْ أُعْطِيَ الرِّضَا، وَالتَّوَكُّلَ، وَالتَّفْوِيضَ فَقَدْ كُفِيَ». رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه»

---

٧٧ أمين الكردي, تنوير القلوب , ص ٤٢٤

٧٨ طه: ٤٨

٧٩ أخرجه التِّرمِذِي (٩٨٣٣) .

الرضا هو باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، وبستان العارفين. و هو كوب من الماء الصافي يمكن لأيّ شيء أن يفسده. قال بعض السلف في تفسير الحياة الطيبة في قوله تعالى:فَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةًق «القناعة والرضا»قيل ليحيي بن مُعاذ رحمه الله: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟ قال: إِذا أَقام نفسه على أَربعة أُصول فيما يعامل به ربِّه، فيقول: إن أعطيتني قَبِلْت، وإِن منعتني رضيت، وإِن تركتني عبدت، وإِن دعوتني أَجبت .

فصل

في المشاهدة

المشاهدة: لغة المحاضرة والمداناة، واصطلاحا: كما قال ابن عربي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ورؤيته في الأشياء, وحقيقتها اليقين من غير شك, وقال القشيري: حضور الحق من غير بقاء تهم, هي على ثلاثة معان: مشاهدة الخلق في الحق وهي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد, و مشاهدة الحق في الخلق وهي رؤية الحق في الأشياء, ومشاهدة الحق بلا الخلق وهي حقيقة اليقين بلا ريب

هي ثمرة المجاهدة، ومن لا مجاهدة له فلا مشاهدة له, قد وصف الله سبحانه نفسه بأنه نور السموات والأرض؛ أي أن يتجلي أثره في كل شيء، الله لا يُرَى بالعين المجردة لأن

العين لا تدرك إلا المحسوس، وإنما يشَاهد في قلب العبد؛ أي إن مشاهدته روحية لا حسية، وهذا المعنى نور السموات والأرض أي ظهور أثره في الوجود بأسره, ورؤية الله هي مشاهدته بنور يقين القلب، ولم يكن ذلك النور إلا شعاعًا من النور الإلهي الذي وضعه الله في قلب العبد، وبهذا الشعاع يراه تعالى العبد ذوقًا، كضوء الشمس الذي يمكِّن من نظر إليها من رؤيتها, وكذلك ما خفي الله إلا لشدة ظهوره، كالشمس لا ترى في وضح النهار لشدة ما ينبعث منها من الضوء، فهي عين الحجاب على نفسها.قال أبو يزيد البسطامي: إن الذين يتكلمون عن الأزلية لا بد أن يكون فيهم مصابح الأزلية، وهذا المصباح هو نور اليقين.

ومن أدلة المشاهدة قوة فراسة كحديث :اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله, ومنها علوم الوحي والإلهام التي هي علوم الأنبياء والأولياء، فإن المصدر واحد في الحالتين، والفرق بين وحي الأنبياء وإلهام الأولياء إنما هو فيما يكشفه النور الإلهي من المعارف الغيبية في قلوب الموحى إليهم والملهمين, أما ما

ينكشف منها للرسل فقد قفل الباب فيه ببعثة النبي محمد خاتم النبيين، وأما ما ينكشف لأولياء الله فالباب مفتوح فيه إلى دهر الداهرين.

وأهل المشاهدة عند الصوفية على ثلاثة أحوال:» الأول منها: الأصاغر، وهم المريدون، وهو ما قاله أبو بكر الواسطي (رحمه الله): يشاهدون الأشياء بعين العبر، ويشاهدونها بأعين الفكر. والحال الثاني من المشاهدة: الأوساط، وهو الذي أشار إليه أبو سعيد الخراز، (رحمه الله)، حيث يقول: الخلق في قبضة الحق وفى ملكه، فإذا وقعت المشاهدة فيما بين الله وبين العبد لا يبقى في سرِّه، ولا همِّه غير الله تعالى والحال الثالث من المشاهدة: ما أشار إليه عمرو بن عثمان المكي، (رحمه الله)، في كتاب المشاهدة، فقال: إن قلوب العارفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت؛ فشاهدوه بكل شيء، وشاهدوا كل الكائنات به، فكانت مشاهدتهم لديه ولهم به، فكانوا غائبين حاضرين، وحاضرين غائبين، على انفراد الحق في الغيبة والحضور؛ فشاهدوه ظاهرًا وباطنًا، وباطنًا وظاهرًا،

وآخرًا وأولاً، وأولاً وآخرًا''.[٨٠]

قال عبد الرحمن عبد الخالق: «ترقى المتصوفة في قضية الكشف عندهم فزعموا أولاً أن الصوفي يكشف له معان في القرآن والحديث لا يعلمها علماء الشريعة الذين سموهم بعلماء الظاهر، والقراطيس والآثار التي ينقلونها عن الموتى، وأما هم فيلتقون بالرسول صلى الله عليه وسلم يقظة أحياناً، ومناماً أحياناً، ويسألونه ويستفيدون منه هذه العلوم ثم ترقوا فقالوا: إن لنا علوماً ليست في الكتاب والسنة نأخذها عن الخضر الذي هو على شريعة الباطن وهو الذي يمد الأولياء بهذه الشريعة، فموسى، ومحمد، والأنبياء، على شريعة ظاهرة، وأما الخضر فهو على شريعة باطنة يجوز فيها ما لا يجوز في الظاهر، فقد قتل الغلام بغير ذنب، وكسر السفينة لمن حملهم بغير نوال، وبنى الجدار إحساناً منه لمن أساء إليهم.. ومثل هذا ينكره أهل الظاهر كما أنكره موسى، ونحن في الباطن على شريعة الخضر وهو يلتقي بنا ونتعلم منه علوماً خاصة

٨٠ الطوسي, اللمع في التصوف, ص١٠١.

ينكرها أهل الظاهر لجهلهم.»[٨١]

هناك الفرق بين المشاهدة والكشف كما قال سعاد الحكيم: «تختلف المشاهدة عن الكشف، بأنها في حقيقتها عبارة عن مشهد لذوات [روح تجسد- أنواع روحانية]، على حين أن الكشف هو رفع الحجاب والاطلاع على كل ما ورائه من معاني وأسرار، فإن كانت المشاهدة تختص بالذوات فالكشف يختص بالمعاني والأسرار»، و»الكشف أتم من المشاهدة، وأعلى".[٨٢]

يظهر الإشراق في قلب العبد على جميع الوجوه، قد يظهر فجأة قويًّا شديدًا، وقد يبدو خافتًا أولا ثم يأخذ في القوة، ولذا قال بعض الصوفية: إن من عصى قلبه فقد عصى ربه، وذلك لأن القلب مركز إشراق عرفان معًا, وهنا يشاهد الصفات الإلهية وآثارها، وبها يشتغل عما سواه تعالى, فإذا فني عن ذاته بالكلية حصل له مقام «الإحسان» كما قال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه.»أي رؤية حكمية، وهي مقام فوق المراقبة.

٨١ عبد الخالق, الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة, ص:٧٤١.

٨٢ سعاد الحكيم, المعجم الصوفي, ص ٤٦٦.

ما حصلت المشاهدة الا بالرياضة حتى يشرق عليها النور الإلهي، وذلك بإزالة الحجب بما سوى الله, وهذا النور يشرق في القلب على حد: «المشكاة» كقوله تعالى: مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ هي قلب العبد، و«المصباح» هو النور الإلهي الذي أودعه الله في القلب منذ خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه، ولذا إن في العبد عنصر إلهي بفطرته، لا يكسبه بمجاهدته، وإنما تكشف المجاهدة عنه وتزيل الحجب التي تغشاه.

فصل

في المكاشفة

الكشف لغة: رفعك للشي عما يواريه، وكشف الأمر: أظهره, وقد عرَّفه الصوفية بأنه بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين، قال أبو محمد الحريري: «من لم يعمل فيما بينه وبين الله تعالى بالتقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة»، وقال النوري: «مكاشفات العيون بالإبصار ومكاشفات القلوب بالاتصال,[٨٣] فالكشف الصوفي يعني: «الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً، وقيل هو الاطلاع على المعاني الغيبية من وراء الحجاب".[٨٤] وقيل هي رؤية

٨٣ رفيق العجم, موسوعة مصطلحات التصوف ص ٠٩٧.

٨٤ ممدوح الزوبي, معجم الصوفية–, ص ٦٤٣

الحق ببصر القلب من غير شبهة، كأنه رآه بالعين. والمراد به انكشاف الغيب لبعض البشر ومشاهدة المغيبات,

ومن أنواع الكشف ما ذكره عامر حسن عامر صاحب كتاب نقص الصوفية: « إذا وقف أولياء الصوفية على حكم فقهي ولم يجدوا له دليلا من القرآن أو السنة اتصلوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وسألوه في ذلك. وأما عن الأحكام التي نتجت عن هذا الاتصال فيقول الشعراني أن العمل بها اختياري لأن ذلك أمر زائد على الدين.

أما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والإيماء ععالى سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التأسي والاقتداء,[٨٥] ويقول الغزالي: «وأمثال هذه المعارف التي اليها الاشارة, لا يجوز أن يشترك الناس فيها, و لا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم ينكشف له.»[٨٦]

٨٥ الغزالي, احياء علوم الدين, ج١, ص ٣١٢

٨٦ الغزالي, المنقد من الظلال, ص ٦٣

قد تنفتح المكاشفة بمخالفة النفس لإنها تغطي القلوب ولهبتها, وقد حكي أن راهبا ببلاد مصر بالمكاشفة فقال, عالم من المسلمين لابد من قتله خوفا علي المسلمين أن يفتهم فقصده بسكين مسمومة : فلما طرق بابه قال : اطرح السكين يا عالم المسلمين فطرحها فدخل فقال: من أين لك نور المكاشفة؟ فقال: بمخالفة النفس فقال: هل لك في الإسلام؟ قال: نعم, أشهد أم لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله, قال: ما حملك على ذلك؟ قال: عرضت الإسلام على نفسي فأبت فخالفتها.[٨٧]

قال الشعراني: «ومن أخلاقهم رضي الله عنهم توقفهم عن كل فعل أو قول حتى يعرفوا ميزانه على الكتاب والسنة ...., ومن القوم طائفة لم يجدوا لذلك العمل دليلاً من سنة النبي صلى الله عليه وسلم الثابتة في كتب الشريعة يتوجهون بقلوبهم إليه صلى الله عليه وسلم، فإذا حضروا بين يديه سألوه عن ذلك وعملوا بما قال لهم، إلا أن مثل ذلك خاص بأكابر

---

٨٧ أمين الكردي, تنوير القلوب, ص ٩٦٤

الرجال, فإن قيل فهل لصاحب هذا المقام أن يأمر الناس بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا, فالجواب لا ينبغي له ذلك، لأنه أمر زائد على السنة الصحيحة الثابتة من طريق النقل، فقد كلف الناس شططاً، اللهم إلا أن يختار أحد ذلك فلا حرج، كما هو شأن مقلد المذاهب المستنبطة من الكتاب والسنة والله أعلم.»[٨٨]

وقال عبد الرحمن عبد الخالق: «والعجيب أنه كان من هذا الدين الباطن الذي زعموا أخذه عن الخضر إتيان (الحمارة)، والزنا، وشرب الخمر، واللواط، والتعري، والصراخ في الطرقات، وسب المؤذنين للصلاة، وسب الأنبياء والإدعاء بأن كل مخلوق هو الله، وإلقاء السلام على الكلاب، والخنازير، والترحم على إبليس، ومحاولة الوصول إلى مقامه، وجعل فرعون أعلم من موسى بالله وتبرئة قوم نوح من الشرك، وجعل الرسول محمد هو الله المستوي على العرش.. هذه الأشياء قليلة جداً من هذا الدين الباطني الذي زعم المتصوفة

٨٨ الشعراني, تنبيه المغترين ص:٣١.

أنهم نالوه عن طريق الكشف الصوفي[٨٩]“.

قال طائفة من المتصوفة: «من الكشف ما هو عقلي وهو ما يدركه العقل بجوهره المطلق عن قيود الفكر والمزاج، ومنه ما هو نفساني وهو ما يرتسم في النفوس الخيالية المطلقة عن قيوده المزاجية بأزمان الرياضات والمجاهدات بعد كشف حجب المباينات والممايزات، ومنه ما هو روحاني وذلك بعد كشف الحجب العقلية والنفسانية ومطالعة مطالع الأنفاس الرحمانية، ومنه ما هو رباني وذلك بطريق التجلي إما بالتنزيل أو بالعروج أو بمنازلات أسرار، وهذا النوع يتعدد بتعدد الحضرات الأسمائية، فإن للحق تجليات من كل حضرة من الحضرات الأسمائية وأعلاها هو التجلي الإلهي الجمعي الأحدي يعطي المكاشفات الكلية وفوقها التجلي الذاتي الذي يعطي الكشف بحقيقة الحقائق وبمراتبها الإلهية وبحقيقة الطبيعة الكلية.»[٩٠]

٨٩ عبد الخالق, الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص:٧٤١.

٩٠ أنظر: موسوعة مصطلحات التصوف ص, ٠٩٧-١٩٧.

الكشف يحتوي على ستة أنواع: أولا: الرؤية , قال أحمد بن المبارك في الإبريز: "إن الولي المفتوح عليه يعرف الحق والصواب ولا يتقيد بمذهب من المذاهب، ولو تعطلت المذاهب بأسرها لقدر على إحياء الشريعة، وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولا يخرج عن مشاهدة الحق جل جلاله لحظة, قال الغزالي: «حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم اصواتا ويقتبسون منهم فوائد[٩١]". وقال ابن عطاء السكندري في الاخذ عن الخضر: «واشتهر ذلك إلى ان بلغ حد التواتر[٩٢].

ثانيا: الإلهام, هو ما وقع في القلب من علم وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة. وهو ليس بحجة عند العلماء الا عند الصوفين.[٩٣] قال أبو المواهب الشاذلي في رده على من أنكر (حدثني قلبي عن ربي): «لا إنكار، لأن المراد أخبرني قلبي عن ربي من طريق الإلهام الذي هو وحي الأولياء[٩٤]".

---

٩١ الغزالي, المنقذ من الضلال, ص ٠٤١.

٩٢ الغزالي, الاحياء, ج ٣ص ٥٢

٩٣ الجرجاني, التعريفات ص ٤٣.

٩٤ طبقات الشعراني: ٨٦/٢ نفلا عن المصادر العامة للتلقى: ٨٦٢.

ثالثا: الفراسة: هي خاطر يهجم على القلب فينفي ما يضادة وله على القلب حكم. كلما كان اقوى ايمانا كان أحد فراسة.[٩٥] رابعا: الهواتف: هي لا تخلو عنده من أن يكون ملكا أو وليا أو صالحا أو الخضر أو الله عز وجل أو إبليس[٩٦]. وقد يكون تلقي الهاتف أما يقظة أو مناما أو بينهما ومن أمثلتا ما ذكر أبو يزيد البسطامي: «قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي، فهتف لي هاتف من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب“.[٩٧]

خامسا: الإسراءات والمعاريج: قال ابن عربي: « غير أنهم ليست لهم قدم محسوسة في السماء وبهذا زاد على الجماعة رسول الله صلى اله علية وسلم. فمعارج الأولياء معارج أرواح“[٩٨]. ونفل ابن الجوزي عن أبي يزيد البسطامي: «لي معراج كما كان للنبي معراج“[٩٩]. قال الشعراني: «قد صرح المحققون بأن للأولياء الإسراء الروحاني إلى السماء

٩٥ القشيري, الرسالة القشيرية ٢/٤٨٠.

٩٦ ابن عربي, الفتوحات المكية, ج ٣ ص ٢٤٣-٣٤٣.

٩٧ السلمي, طبقات الصوفية ص ٩٦.

٩٨ ابن عربي, الفتوحات المكية, ج ٣ ص ٢٤٣ -٣٤٣.

٩٩ ابن الجوزي, تلبيس إبليس ص ٧٠٢.

وبمثابة المنام يراه الإنسان ... ومنهم من ترتقي روحة إلى سدرة المنتهى إلى الكرسي إلى العرش". [١٠٠]

سادسا: الكشف الحسي هو الكشف عما وراء الحجب الحسية والاطلاع على حقائق الموجودات إما بالبصر أوالبصيرة, وقال عبد الكريم الجيلي: «وقد أسست كتابي هذا أي كتاب: الإنسان الكامل على الكشف الصريح, فأمرني الحق بإبرازه بين تصريحه وإلغازه"[١٠١]

وأما ما يتعلق بمعنى الكشف فهو كما يلي:

أولا: الخاطرهو ما يرد على القلب والضمير من الخطاب، ربانياً كان أو ملكياً أو نفسياً أو شيطانياً، من غير إقامة، وقد يكون كل وارد لا تعمل لك فيه.

ثانيا: الواردهو ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير تَعَمُّل, وقد قيل للخاطر الرباني: أول الخاطر، وهو لا يخطئ أبداً، وقد يعرف بالقوة والتسلط وعدم الاندفاع، والخاطر الملكي يسمى إلهاماً، وهو إلقاء الشيء في الروح,

١٠٠ كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان: ٢٥

١٠١ عبد الكريم الجيلي, الإنسان الكامل صـ ٥

والخاطر النفساني يسمى هاجساً، وهو ما فيه حظ النفس، أما الخاطر الشيطاني فهو ما يدعو إلى مخالفة الحق,

ثالثا: التجلي هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب. رابعا: المحادثة هي خطاب الحق للعارفين من عالم الملك والشهادة كالنداء من الشجرة لموسى (عليه السلام), خامسا: المسامرة هي خطاب الحق للعارفين من عالم الأسرار والغيوب نزل به الروح الأمين على قلوبهم,

سادسا: الذوق هو نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه؛ يفرقون به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك عن كتاب أو غيره, سابعا: البصيرة: ملكة ترى حقائق الأشياء وبواطنها، كما يرى البصير ظواهر الأشياء المادية.[١٠٢]

خلاصة القول, الصوفية يدركونه تعالى إدراكاً مباشراً مصحوباً بحالة وجدانية يصعب التعبير عنها بالألفاظ, وهذا الإدراك يسمى عندهم بالكشف, وهو بيان ما يستتر على الفهم فيكشف عنه للعبد كأنه رأى عين.

---

١٠٢ أنظر: عثمان بن علي بن حسن, مناهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد

فصل

في المعرفة

عرفها الجرجاني بأنها الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودًا وشعورًا,[١٠٣] ومعرفة الله تغني عن العبادة عند بعض الصوفية. فقد قال عبد الوهاب الشعراني في بحث وجوب معرفة الله تعالى: قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) قال ابن عباس إلا ليعرفوني. قال الشعراني: فكما تعلقت الرؤية به فكان مرئياً تعلقت به المعرفة فكان معروفاً.

أتفق الصوفية على أن غاية السالك إلى الله أن يتحقق بمعرفة الله تعالى, لا يأتيها الشك ألبتة, يقول أبو نصر السراج

١٠٣ نظر: التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص(٧٣٢)

الطوسي: إن العلم ظاهر وباطن... والأعمال الظاهرة كأعمال الجوارح وهي العبادات والأحكام... وأما الأعمال الباطنة فكأعمال القلوب وهي المقامات والأحوال... ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة علم وفقه وبيان وفهم وحقيقة ووجد... فإذا قلنا: علم الباطن أردنا بذلك علم أعمال الباطن التي هي الجارحة الباطنة, وأما إذا قلنا علم الظاهر أشرنا إلى علم الأعمال الظاهرة التي هي الجوارح الظاهرة وهي الأعضاء.[١٠٤]

المعرفة على ثلاث درجات: حواس وعقل وحدس, كلها تتفاوت بحسب اليقين؛ فالمعرفة عن طريق الحواس أدناها مرتبة، والمعرفة عن طريق العقل وُسطاها، والمعرفة عن طريق الحدس أعلاها، المعرفة عن طريق الحواس هي معرفة العامة التي تستند إلى المشاهدة الحسية, والمعرفة عن طريق العقل تقوم على الاستدلال، وأما المعرفة عن طريق الحدس فهي الحق يشهده العارفون مباشرةً بغير حجاب.

١٠٤ أبو نصر السراج الطوسي, اللمع تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مطبعة المثنى، بغداد، العراق، دار الكتب الحديثة، القاهرة ٠٦٩١، ص ٣ ع.

المعرفة عند الصوفية تشمل جانبين، الأول: المعرفة العلمية القائمة على العقل والنقل، والثاني: المعرفة الكشفية القائمة على البصيرة أو الوجدان في تجربة الاتصال المباشر بالله عز وجل، ومن خلال ما بينَّاه من ترابط بين هذين الجانبين من المعرفة سواء من جهة ربطهم بين الشريعة — وهي تكليف أساسه العقل — والحقيقة، أو من جهة تأكيدهم على صحة الوصول إلى المعرفة الإلهامية الكشفية عن طريق الاعتبار والاستبصار وهو طريق قوامه العقل والحواس، أقول: من خلال ما تقدم يتبين لنا القصور والتناقض في تلك النظرة إلى المعرفة الصوفية عند بعض الباحثين، وتأكيدهم أنها إلهامية فقط، وأنه:»لا اعتبار عندهم (أي الصوفية) بتحصيل الحواس والعقول؛ لأن الذي يستطيع أن يقبس مما أوتى من وسيلة البصيرة أو القلب من منهل رباني، ويأتي بعد ذلك أن يستعد ويعد نفسه بالرياضة العملية والعبادة، فكيف يذهب لمعرفة الحس والعقل المحكوم عليهما بالعجز والمحدود به والظنية"[١٠٥].

---

١٠٥ راجح كردي, نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، ص ٦١٦-٧١٦.

ومن هنا يكون الغزالي قد فتح الباب لتصديق الخوارق والمعجزات فإذا جاءت الخارقة على يد نبي بالمعجز وإذا جاءت على يد ولي أو أحد الصالحين تسمى كرامة لكنها تأتي أحيانا عن طريق الساحر فتسمى أعجوبة أو سحرا. من هنا يقول الغزالي «لي هناك فرق جوهري بين معجزة النبي وأعجوبة الساحر»[١٠٦]

فالكون والوجود يتحولان بتحول التجليات الإلهية ، كما أن التجليات تكون بحسب استعداد البشر واختلافاتهم، والإنسان الكامل هو الذي يدرك ثبات الحقيقة رغم اختلاف تجلياتها في الصور المختلفة. ومن هنا فمعرفة المتصوفة له تمييزهم عن غيرهم فالعارف الكامل يعرفة في أي صورة يتجلى فيها، وفي كل صورة ينزل فيها، وغير العارف لا يعرفه إلا في صورة معتقده، وينكره إذا تجلى له في غيرها.[١٠٧]

كثرت أقوال من الصوفية يتميز دور العقل وأهميته بالنسبة إلى المعرفة الكشفية، قال سهل التستري: المعرفة

١٠٦ الغزالي, المنقد من الضلال, ٦٨٩١ ،٨٦١)

١٠٧ ابن عربي, الفتوحات المكية، دار صادر بيروت ج ٣، ص ٢٣١،

غايتها شيئان: الدهش والحيرة.[١٠٨] وكان الشيخ محي الدين بن عربي يقول: أصل المنازعة الناس في المعارف الإلهية والإشارات الربانية كونها خارجة عن طور العقول، ومجيئها بغتة من غير نقل ونظر، فتنكرت على الناس من حيث طريقها فأنكروها وجهلوها.

المعرفة على نوعين: أولا: معرفة عقلية ظاهرة تعتمد على العقل واستدلالاته، وثانيا: عرفة باطنة ذوقية لا مدخل للعقل أو الحس فيها، وإنما هي من قبيل المكاشفات، وهذه المعرفة الذوقية الباطنة التي لا تعتمد على العقل أو الحس تتخذ من القلب أداة لها. عند الصوفية أن ذات الإلهية تدرك إدراكا مباشراً، لا مدخل للعقل فيه، بل بواسطة أداة أخرى يسمونها عادة بالقلب، هو مركز المعرفة، والله تعالى الذي يقذف بالمعرفة في هذا القلب، فيصبح صاحبه عارفاً محيطاً بكل شيء فالمعرفة بهذا المعنى، من لدنه تعالى. قال أبويزيد البسطامي: «ليس العالم من حفظ العلم من كتاب فإذا نسي

---

١٠٨ القشيري, الرسالة القشيرية، ص ٤١٣

ما حفظه صار جاهلاً إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس.»

ومن الواضح أن المعرفة الصوفية ليست من قبيل المعرفة الاستدلالية، أو المعرفة الحسية، أو المعرفة العقلية المنطقية، إذ أنها لا تعتمد على العقل واستدلالاته ولا على المشاهدة الحسية وتجاربها، وإنما هي من قبيل العرفان المباشر ويمكن تسميتها بلغة علم النفس الحديث بالمعرفة الوجدانية الصوفية المباشرة، ووسيلتها هي الإدراك الصوفي الوجداني المباشر.

أداة المعرفة الصوفية هي القلب وليست الحواس، ولا العقل, فالقلب مرآة جلية ترتسم فيها الصفات الإلهية. وقد جرى في القرآن هذا الاستعمال فجعل من القلب محلاً للإيمان الصحيح ومركزاً للتدبير والفهم وأداة المعرفة « أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا [١٠٩]»، وقال ابن عربي إن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر إنما هي من الفيض الإلهي.

١٠٩ سورة محمد, ٤٢

والمعرفة التي يصل إلهيا الصوفي هي معرفة مباشرة بغير وسائط من مقدمات أو قضايا أو براهين ، إنها معرفة فوق عقلية لا يحوزها إلا من سلك سبيل التصوف وألهم المعرفة المباشرة ومن هنا أيضاً تسمى المعرفة كشفاً.. اذً, معرفة الله هي معرفة حدسية كلية شاملة يتولد عنها الحب الإلهي العقلي.

وعلم الباطن عند الصوفية مستمد من الشريعة فلا خلاف بينهما، وغاية ما في الأمر أن علم الباطن علم ذوقي تنطوي عليه الشريعة، ومتى تحقق العبد بأحكام الشريعة وعمل بالكتاب والسنة، واتجه بقلبه نحو الله وسلك طريق الذوق، فقد حصل على ذلك العلم، فالحقيقة ثمرة الشريعة، وإلى ذلك أشار الشعراني بقوله عن علم الباطن (هو علم أقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالكتاب والسنة. . . والتصوف هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة).

وصور القشيري في الرسالة العلاقة بين الشريعة والحقيقة تصويراً رائعاً فقال: الشريعة أمر بالتزام العبودية، والحقيقة

مشاهدة الربوبية، فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول، فالشريعة جاءت بتكليف الخلق، والحقيقة إنباء عن تصريف الحق، فالشريعة أن تعبده، والحقيقة أن تشهده، والشريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضي وقدر وأخفي وأظهر.

منع العلماء من الفكر في ذات الله، وأما القوة العقلية الدنيا فلا يصح أن تدركه، فإن العقل لا يقبل إلا ما علمه بديهة أو ما أعطاه الفكر وقد بطل إدراك الفكر له، فقد بطل إدراك العقل له من طريق الفكر, لكن مما هو عقل محض إنما حده أن يعقل ويضبط ما حصل عنده، فقد يهبه الحق المعرفة به فيعقلها؛ لأنه عقل لا من طريق الفكر، وهذا ما لا نمنعه فإن هذه المعرفة التي يهبها الحق تعالى لمن يشاء من عباده لا يستقل العقل بإدراكها، ولكنه يقبلها[١١٠].

قال الغزالي في إحياء علوم الدين عن اكتساب العلم اللدني فيظهرنا من خلال كلامه عن أن العلم الإنساني

١١٠ محمد غلاب: المعرفة عند ابن عربي، ص ٢٩١-٣٩١

يكتسب بطريقين: التعلم والاستدلال ويسمى اعتباراً أو استبصاراً ويختص به العلماء والحكماء، وأما أن يهجم على القلب كأنه ألقي فيه من حيث لا يدري فهو نفث في الروع، ويسميه الغزالي في رسالته اللدنية بالتعلم الرباني.

قال الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال عن كيفية وصوله إلى اليقين بطريق الكشف والإلهام فيقول: «ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة فقد ضيق الله رحمه الله الواسعة». يقول أيضا: " وكذلك قد تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ[١١١].

يقول أبو عبد الرحمن السلمي: وأما أحوال الحقائق في المكاشفة : فمنهم من يكشف له عن حاله ومنهم من يكشف له عن مراده ومنهم من يكشف له عن عموم

---

١١١ الغزالي, إحياء علوم الدين, ج ٣ ص ٩١

الأحوال ولا يؤذن له في الإخبار عنها ومنهم في يكشف له عند مراد الحق فيهم ، ومنهم من يكون مكشوفاً مأذوناً في الإخبار عما كشف له من المراقب التي حض بها وخص بها سائر الأولياء وهذا دخل في محل الأمانه، الأمناء من الأولياء هم النهاية في الولاية . ثم يصح بعد ذلك حال المشاهدة ، والمشاهدة أن يشهد الغيوب ...وبشاهد فعل الله "[١١٢]

يوضح بأن قول القلب أو الروح أو البصيرة هي وحدها أداة المعرفة أو وسيلتها لدى الصوفية إنما هو قول لا يرقى إلى مستوى الدقة العلمية، ولا يعضده الفهم الدقيق لنصوص الصوفية وأقوالهم، وإن وسيلة المعرفة لا تقتصر على أداة واحدة أو طاقة أو ملكة واحدة لدى الصوفي، فلا تتخذ الوجدان وحده أو البصيرة وحدها أو العقل وحده.

فالشريعة أن تعبده تعالى, والحقيقة أن تشهده والطريقة أن تقصده وللطريقة معنيان سفر من الظاهر إلى الباطن , من الشريعة إلى الحقيقة, من العالم إلى الله. الشريعة ظاهر

١١٢ أبي عبد الرحمن السلمي, تسعة كتب في اصول التصوف, ص ٧٠٤

الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة وهما متلازمان لا يتم أحدهما إلا بالآخر فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبولة. وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول فمن لا حقيقة له لا شريعة له. ومن لا شريعة له لا حقيقة له. لان الحقيقة اصل الإيمان والشريعة القيام بالأركان. فمن عرف الحق ولم يعبده تعرض للخسارات, ومن لم يعرفه استحالت منه الطاعات.

كان الدسوقي يؤكد على ضرورة اللإلتزام في التصوف بأداب الشريعة يعني : لشريع أصل والحقيقية فرع, فالشريعة جامعة لكل علم مشروع, والحقيقية جامعة لكل علم خفي وجميع المقامات مندرجة فيهما.[١١٣] الشريعة مثل القارب, والطريقة مثل التجديف والغوص, والحقيقة مثل اللؤلؤة, والمعرفة هي نشوة لرؤية اللؤلؤة الحقيقية بشكل دائم, والطريقة والحقيقة كلاهما متوقف على الشريعة فلا يستقيمان الا بها, ومن زعم أن من صار وليا ووصل إلى الحقيقة سقطت عنه الشريعة فهو ضال مضل ملحد ولم تسقط العبادات عن

١١٣ د. أبو الوفا الغنيمي التفتازني, مدخل إلى التصوف الإسلامي, ص ٣٤٢

الأنبياء فضلا عن الأولياء.[١١٤] وعلم الحقيقة لم يتوصل إليه الصوفية عن طريق التفكير أو العقل، وإنما الكشف والإلهام. وهذا العلم هو العلم الرباني أو علم اللدني هو الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مألوف من خارج. وإليه الإشارة بقوله تعالى» وعلمناه من لدنا علما«[١١٥].

---

١١٤ شطا الدمياطي, شرح كفاية الأتقياء ص ٢١

١١٥ الكهف ٥٦

فصل

في وليّ الله

الولي لغة: القرب والدنو و شرعا ولي الله: العالِم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته,[١١٦] و ذكر الغزالي أن الولي يلهم في تلقي العلم من الله، قال أبو جعفر: « الولي» ، أعني « ولي الله « ، هو من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى، كما قال الله الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ عن سعيد بن جبير، قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « أولياء الله «، فقال : الذين إذا رُؤُوا ذُكر الله.

١١٦ فتح الباري لابن حجر ٠١/٠٥٣.

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لم يتكلَّم في المهد إلا ثلاثة؛ عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي، فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومِسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته، فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها، فولدت غلامًا، فقالت: مِن جُريجٍ، فأتَوه فكسروا صومعته، وأنزلوه وسبُّوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: مَن أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهبٍ، قال: لا، إلا من طينٍ."

وأن الأولياء يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء[١١٧] من شروط الولاية الخلوة، وهي تقتضي عندهم ترك الأهل والمال والولد فإنهم شواغل وحجر عثرة أمام طريق الولاية[١١٨] وكذلك من شروط الولاية: الجوع وترك الدنيا [١١٩]

أن الأولياء يتلقون علومهم عن الله مباشرة، وهو المعبر

١١٧ الغزالي, المنقذ من الضلال ل ص٨٦

١١٨ الشعراني في كتابه اليواقيت والجواهر في عقيدة الأكابر ٢/٤٢.٥٢.

١١٩ لرسالة القشيرية لعبد الكريم بن هوازن بن القشيري ص٢٤١

عنه ب»الإلهام — التحديث» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لقد كان فيما قبلكم من الأمم مُحدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر"

أولياء الله هم القريبون من الله بصالح أعمالهم ، ويصفهم الله : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) عن ابن عباس: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، قال: الذين يُذْكَرُ الله لرؤيتهم. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من عباد الله عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء! قيل: من هم يا رسول الله؟ فلعلنا نحبُّهم! قال: هم قوم تحابُّوا في الله من غير أموالٍ ولا أنساب، وجوههم من نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس. وقرأ: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون). قال ابن زيد في قوله: (ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ، من هم يا ربّ؟ قال: الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، قال: أبى أن يُتَقَبَّل الإيمان إلا بالتقوى.

عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((إن اللهَ قال: مَن عادى لي وليًّا، فقد آذنتُه بالحرب))؛ قال ابن حجر العسقلاني: ”(فقد آذنتُه بالحرب)؛ أي: أعلمتُه، وهذا تهديد شديد؛ لأن مَن حاربه الله أهلكه، وهو مِن المجاز البليغ؛ لأن مَن كرِه مَن أحب الله خالف الله، ومَن خالف الله عانده، ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت في جانب الموالاة؛ فمَن والى أولياءَ الله أكرمه الله.“[١٢٠]

قال الإمام النووي: ”(قال الإمامان الجليلان أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله: ”إن لم يكن العلماء هم أولياء الله فليس لله ولي“،[١٢١] وفي لفظ: «إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي.“

قال الإمام الطحاوي في تقرير عقيدة أهل السنَّة: (ولا نفضِّل أحدًا من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء عليهم

١٢٠ ابن حجر العسقلاني, فتح الباري ج ١١ ص ٣٥٠.
١٢١ النووي, التبيان, ص ٥٢

السلام، ونقول: نبيٌّ واحد أفضل من جميع الأولياء)؛[١٢٢] قال الشوكاني: أولياء الله غير الأنبياء، ليسوا بمعصومين، بل يجوز عليهم ما يجوزُ على سائر عباد الله المؤمنين، لكنهم قد صاروا في رتبة رفيعة ومنزلة عليَّة، فقلَّ أن يقع منهم ما يخالف الصواب وينافي الحق، فإذا وقع ذلك فلا يخرجهم عن كونهم أولياء الله؛[١٢٣]

هناك فروق بين المعجزة والكرامة و السحر وأن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها, والولي يجب عليه سترها وإخفاءها, والنبي صلى الله عليه وسلم يدعي ذلك, ويقطع القول به, والولي لا يدعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرا.[١٢٤]

فأما المعجزة: فأنها أمر يجريه الله على أيدي الأنبياء بخلاف ما اعتاده الناس من سنن الكون، والغرض منها إثبات صدق نبوتهم، وأنهم رسل من عند الله. كعدم إحراق

١٢٢ الطحاوي, شرح العقيدة الطحاوية , ص ٤٠٥
١٢٣ الشوكاني, ولاية الله والطريق إليها, ص ٤٣٢: ٣٣٢
١٢٤ القشيري, رسالة القشيرية ص ٤٥٣

النار إبراهيم، وتحول عصا موسى إلى حية، وانشقاق القمر للنبي – صلى الله عليه وسلم – وخروج الماء من بين أصابعه .وأما الكرامة فهي أمر يجريه الله على أيدي أوليائه، بخلاف ما اعتاده الناس من سنن الكون كإتيان مريم – عليها السلام – ثمر الشتاء في الصيف، وثمر الصيف في الشتاء، وحملها من غير زوج، ونداء عمر لسارية أن ينحاز إلى الجبل وسماع سارية لندائه، مع أن بينهما تباطن المكان, وأما السحر: فهو تجاوز السحرة حدود البشر العادية عن طريق استعانتهم بالشياطن، كتحويل الحبال والعصي إلى حيات.

موقف الناس لأولياء الله على ثلاثة أقسام: الأول: وهو قسم فرَّط وقصَّر في حق أولياء الله، فلم يعرف فضلهم, الثاني: وهو قسم أفرط وبالغ في محبتهم، وطلبوا منهم المساعدة من دونه تعالى، وتقربوا إليهم بالنذور والذبائح، وهم يفضلونهم على بعض الأنبياء؛ كالشيعة الروافض. وقد قال الغزالي إن قتل من ادعى أن رتبة الولاية أعلى من رتبة النبوة أحب إليه من قتل مائة كافر, لإن ضرر هذا في الدين أعظم, انما العبد يكون وليا

لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا متبعا.[١٢٥] الثالث: وهو قسم وسَط في محبتهم، وهم أهل السنَّة والجماعة.

١٢٥ سعيد غقيل سراج, الله وصلته بالكون في التصوف الفلسفي, ٩٠٦

المراجع والمصادر

ابن أبي الدنيا, المحتضرين
ابن الجوزي, تلبيس إبليس
ابن الجوزي, تاريخ عمر بن الخطاب
ابن الجوزي, مدارج السالكين
ابن العلاف, الرضا عن الله بقضائه
ابن حجر العسقلاني, فتح الباري
ابن عجيبة, معراج التشوف
ابن عربي : الفتوحات المكية، دار صادر بيروت
ابن كثير, التفسير العظيم
أبو طالب المكي، قوت القلوب
أبو عبد الرحمن السلمي, طبقات الصوفية
أبو نصر السراج الطوسي, اللمع تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور
أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء

أبي عبد الرحمن السلمي, تسعة كتب في اصول التصوف.
أمين الكردي, تنوير القلوب
البغوي, تفسير البغوي
الجرجاني, التعريفات
حسن باهرون, الفوائد المختارة,
الخطيب البغدادي, المنتخب من كتاب الزهد والرقائق
د. أبو الوفا الغنيمي التفتازني, مدخل إلى التصوف الإسلامي
راجح كردي, نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة
رفيق العجم, موسوعة مصطلحات التصوف
سعاد الحكيم, المعجم الصوفي
سعيد غقيل سراج, اللله وصلته بالكون في التصوف الفلسفي
السلمي, طبقات الصوفية
شطا الدمياطي, شرح كفاية الأتقياء
الشعراني, تنبيه المغترين
الشوكاني, ولاية الله والطريق إليها
الطحاوي, شرح العقيدة الطحاوية
الطوسي, اللمع في التصوف
عبد الخالق, الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة.
عبد القادر الجيلاني, الفتح الرباني
عبد الكريم الجيلي, الإنسان الكامل

عثمان بن علي بن حسن, مناهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد
الغزالي, إحياء علوم الدين
الغزالي, المنقد من الضلال
الغزالي, كيمياء السعادة
القشيري, الرسالة القشيرية
كتاب الفوائد لإبن قيم الجوزية
محمد غلاب, المعرفة عند ابن عربي
ممدوح الزوبي, معجم الصوفية
المناوي, فيض القدير شرح الجامع الصغير.
موسوعة مصطلحات التصوف
النووي, التبيان
يحيي بن معاذ، جواهر التصوف

مقام السالكين

الى رب العالمين

لقد برز التصوف في القرن الثّالث الهجري و برزت له طرقًا عدّة بعضها أمسك بالمصدرين الرئيسين الكّاب والسّنّة إلى حدٍّ ما، وفي جانب اخر، البعض الآخر غاير كلاهما، وذلك تزيد وتنقص، بين فئة وأخرى، فالتصوف السني أقرب إليهما، وهذا يمثل التيّار الذي اشتهر بالزّهد والورع، والفقر.

وكان السلوك قائما على الفضائل والمكارم وحسن الأخلاق، قال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم).

من المؤكد أن الإسلام حرص على أن يغرس تركية النفوس وتصفية القلوب، فلا ريب أن أهل التصوف المتقدمين ومن سار على نهجهم كانوا محققين لمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

literasi nusantara
Perum Paradiso Kav A1 Junrejo - Batu
penerbitlitnus@gmail.com
www.penerbitlitnus.com
0812-3602-3633

ISBN 978-623-329-059-3